مصر والسودان

في نظر العلم والتاريخ

تأليف

د. أحمد فؤاد

عضو المجمع العلمي الألماني لمقارنة المدنيات

تقديم ومراجعة

د. عزالدين جلال

الكتاب: مصر والسودان في نظر العلم والتاريخ

الكاتب: د. أحمد فؤاد

تقديم ومراجعة: د. عزالدين جلال

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

فؤاد ، أحمد

مصر والسودان في نظر العلم والتاريخ / د. أحمد فؤاد ، تقديم ومراجعة: د. عزالدين جلال

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٤٧ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٩ – ٩ • – ٦٨٢٣ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٩٢٤٦ / ٢٠٢٠

مصر والسودان في نظر العلم والتاريخ

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

"مصر والسودان في نظر العلم والتاريخ " كتاب فريد يجمع بين التاريخ وعلم الأجناس أو الأعراق، هدفه الرئيس إثبات أن مصر والسودان بلد واحد يسكنه شعب واحد، وذلك لهدف وطني هو دحض مزاعم الاستعمار الإنجليزي الذي روج فكريا وثقافيا لفكرة اختلاف العنصرين، في خطوة نحو هدف خبيث هو تقسيم وادي النيل إلى دولتين مختلفتين، يمكن إحداث خلافات بينهما بالوقيعة والتآمر، ليسهل السيطرة عليهما معا.

وهذا هدف وطني نبيل، لكن الغريب أن مؤلف الكتاب بالمقاييس المجردة، وهي غالبا ما تكون قاصرة ومقصرة، يبدو غير متخصص في هذا المجال، وبالتالى ليس كفؤا للكتابة فيه، فكتاب " مصر والسودان في نظر العلم والتاريخ" من تأليف الدكتور أحمد فؤاد، وهو يعرف نفسه – على غلاف الكتاب – بأنه " عضو المجمع العلمي الألماني لمقارنة المدنيات"، وهو تعريف يوحي بتوافر مقومات أكاديمية قد تؤهله للكتابة في التاريخ أو في علم الأجناس، لكن المثير للعجب أنه كان طبيبا متخصصا في الأمراض الباطنة وكان يقوم يتدريسها في القصر العيني، وهو ما أصبح فيما بعد كلية الطب بجامعة القاهرة.

والكتاب الذي صدرت طبعته الأولى في القاهرة قبل تسعين عاما

يثبت أن مسألة العلاقات بين دولتي وادي النيل تجد دائما من يثيرها، فلو لم تكن تلك المسألة مطروحة لما أرهق الكاتب نفسه وادخر جهده ووقته لتأليف كتابه هذا. وقد ذكر في خاتمة كتابه: "وما تجشمت الكثير من النصب والسهر في جمع شتات هذا الكتاب وترجمة محتوياته وضم شتاته إلا لأظهر للملأ قيمة مفتريات المستعمرين من الصحة ولأدفع الباطل بالحق فتتداعى أركانه وينهار ما شيدوه من بنيانه والله لا يفلح كيد الماكرين".

أجمع علماء التاريخ وأجناس الشعوب على وحدة وادي النيل وأهله في الجنس والدين واللغة والثقافة والصناعة حتى في طريقة البناء الدفن وكثير من المصطلحات والعادات، وهذا ما يؤيده صاحب الكتاب بقوله في مستهل كتابه " انصرفت الأفكار في العهد الأخير إلى الاهتمام بمسألة السودان أكثر من ذي قبل، وقد تولى كثير من الكتاب شرح العلاقة المتينة التي تربط مصر بالسودان لإثبات أن الإقليميين بلد واحد يسكنها شعب واحد"، ويبدأ برصد ثلاثة عشر دليلا كلها إما تاريخية أو علمية ترتبط بعلم الأجناس تؤكد على الإخوة بين المصري والسوداني باعتبارهما أبناء بلد واحد وينتميان إلى جنس واحد، وكلها تتفق مع ما نقله الكتاب عن "ادولف ابرمان"، الذي يصفه المؤلف بأنه " العلامة وأكبر ثقة في اللغة المصرية القديمة والتاريخ المصري"، فهو يرى أن " الحقيقة الحرية بالإتباع أن من يبدأ بسكان مصر ويتوغل حتى مناطق خط الاستواء بأفريقيا مقارناً السكان بعضهم ببعض يحكم بأنهم من عنصر واحد وأنهم حلقات من سلسلة عرقية لا يمكن التفريق بينهم قط فلا

يمكن تفريق سكان مصر عن البربر سكان ساحل شمال إفريقيا ولا أولئك عن كلوي أو التبو ولا هؤلاء عن سكان بحيرة تشاد بل الجميع في نظر علماء أنساب الأمم عنصر واحد قد أوجد طرز المعيشة ومؤثرات طبيعة البلدان وهواء الأقليم ما قد يشاهد بينهم من الخلاف الظاهري، أضف إلى ذلك أن قدماء المصريين كان لديهم من العادات ما هو موجود لدى الشعوب الساكنة في أعالي النيل اليوم".

حديث التاريخ

تنص التوراة صراحة على أن حام أنجب مصرايم الجد الأعلى للمصريين وكوش الجد الأعلى للغربيين والحبشة والسودان، بما يعني أنها تثبت أن مصر والسودان شقيقتان وقد أثبت العلامة (تييل) في كتابه "تاريخ ديانة قدماء المصريين" أن حام هو نفس "كيم" أو "كيمت" يعني الأرض السوداء، وهو اسم كان يطلقه قدماء المصريين على جميع بلاد النيل ثم أطلق على سكانها يضاف إليهم البونيين (سكان جنوب جزيرة العرب والصومال وجنوب ساحل البحر الأحمر الغربي) الذين كانوا يعتبرونهم أخوانهم يعني أن قدماء المصريين كانوا يعتبرون سكان السودان ومصر وملحقاتها بل والساحل الجنوبي من جزيرة العرب أخوانهم في العرق والجنسية وقد أثبتت الحقائق العلمية هذه القرابة.

وأقدم رواية في حكم المصريين للسودان هي المكتوبة في حجر «بالرمو»؛ ففيه ذكر أن الملك «سنفرو» من الأسرة الثالثة «سنة ٢٩٠٠ قبل الميلاد» قد غزا بلاد النوبة، وفي عهد الملك «ببي الأول» من

الأسرة الثالثة «سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد»، جنَّدت مصر من السودان جيشًا لإخضاع بعض القبائل العاصية في شرقي السودان، وكان السودان في عهد الأسرة الثانية عشرة تحت حكم المصريين، الذين شقوا طريقًا للسفن بين صخور الشلال الأول في عهد الأسرة السادسة تحت إشراف المهندس المصري "أونا سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد".

وكانت السفن تجري في النيل بين مصر والسودان بغير مشقة في تلك القناة التي شقَّها المصريون بين صخور الشلال الأول، وقد أعيد ذلك في عهد الملك «أوسرتسن الثالث» من الأسرة الثانية عشرة «سنة ١٨٥٠ قبل الميلاد»؛ لتسهيل نقل الجيش والسفن الحربية والمعدات، لتأديب البلاد التي تحاول الخروج على الحكم المصري. وكانت القوافل تجلب الذهب من سنار إلى جزيرة مروى، وتستمر في الصحراء إلى مدينة «نبتة»؛ حيث ينقل في سفن نيلية إلى مصر، وكانت القبائل السودانية تدفع الجزية لملك مصر، وكانت المصنوعات المصرية رائجة في السودان. أما في عهد الأسرة الثامنة عشرة، فقد وصلت حدود مصر في السودان إلى النيل الأزرق، وذلك في عهد الملك أحمس.

وغزا أمنمحات الأول السودان، ووصلت جيوشه إلى جنوب الخرطوم، وكانت تعرف قديمًا بأرض الأغنام، كما جاء ذلك في لوحة حجرية وُجدت في «مروى». وقد عين ابنه «تحتمس الأول» حاكمًا عامًّا على السودان، ثم لقَّبه بأمير كوش؛ و«كوش» هو الإقليم المعروف الآن بإيتيوبيا، وكان محل إقامته في «النوبة»، وكان يجيء إلى مصر أحيانًا،

وقسَّم البلاد التي بين الشلال الأول والنيل الأزرق إلى مديريات أو أقاليم، يدير شئون كل منها حاكم مصري تابع لأمير كوش، وأصبحت البلاد السودانية إلى النيل الأزرق جزءًا من مصر، تسود فيه النظم الإدارية والسياسة المصرية.

واستمر حكم مصر في السودان في عهد أمنحتب الثاني سنة ١٤٤٨ قبل الميلاد و قد شيد معبدًا في وادي باع النجا عند النيل الأزرق، وجعل عاصمة السودان عندئذ مدينة «نبته» غربي «جبل برقل»، بالقرب من الشلال الرابع. واستمر الحكم المصري في السودان سائدًا، والقبائل السودانية مطيعة هادئة في عهد «تحتمس الرابع» سنة ١٤٢٠ قبل الميلاد، ثم في عهد «أمنحتب الثالث» سنة ١٤١١ قبل الميلاد. وقد استتب الأمر للمصريين في السودان وكان السودانيون يدينون بالدين المصري القديم، ويتكلمون، أو يتكلم الظاهرون فيهم، باللغة المصرية، ودرجوا على الكثير من العادات المصرية.

حديث الجغرافيا

تذكر كتب الجغرافيا أن الحدود بين مصر و السودان تمتد نحو ١٢٧٣ كم، ويمثل السودان العمق الإستراتيجى الجنوبي لمصر، لذا فإن أمن السودان واستقراره يمثلان جزءًا من الأمن القومي المصري، وهذا يدعو إلى وجود علاقات مستقرة بين حكومات البلدين، وتعود العلاقات الدبلوماسية المصرية السودنية إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، منذ أن بدأ محمد علي والى مصر في بناء الدولة الحديثة.

وفي عام ١٨٢٠ م تقدمت جيوش الدولة المصرية لأول مرة لتقوم بلملمة أطراف المناطق الواقعة جنوبها، ممثلة في سلطنات وممالك وقبائل السودان، لتصنع من كل هذا كياناً إدارياً وسياسياً واحداً، وهو الذى اصطلح على تسميته بالسودان.

كان هذا الفتح المصري للسودان عام ١٨٢٠م ثالث الحروب التي خاضتها مصر في عهد محمد علي لتأليف وحدتها السياسية، وقد استمرت مرحلة التوحيد والتكوين هذه قرابة نصف قرن، إلى أن اكتمل السودان الحديث في العام ١٨٧٤ بعد أن تم إلحاق سلطنة دارفور بالسودان على يد الزبير باشا ود رحمة الجموعي الذي كان قائدا سودانيا في جيش مصر وقت حكم الخديوي إسماعيل.

وكان قد سبق ذلك استكشاف وضم إقليم جنوب السودان الذي كان يعرف في ذلك الوقت باسم "المديرية الاستوائية"، عبر ثلاث حملات كبرى أثقلت كاهل الخزانة المصرية، وهو ما ساهم فيما بعد ، إلى جانب إسراف الخديوي إسماعيل في وقوع مصر تحت طائلة الديون الأجنبية، مما أفسح الطريق بعد ذلك للتدخلات الأجنبية التي انتهت باحتلال مصر من قبل بريطانيا عام ١٨٨٢م .

المهم أن الترابط بين السودان ومصر ظل قائماً طوال الوقت، ولم ينقطع إلا لفترة محدودة حيث انفصلت الأراضي السودانية عن مصر من ١٨٨٥ إلى ١٨٩٨م عندما قامت الدولة المهدية في السودان، لكن سرعان ما انتهت هذه الدولة وعادت مصر مرة أخرى للسودان عبر

الحكم الثنائي (المصري–البريطاني) إلى أن حصل السودان على استقلاله في الأول من يناير عام ١٩٥٦م ، ومنذ ذلك التاريخ والعلاقات المصرية السودانية تمر بحالات من المد والجزر، أو بدورات من الصعود والهبوط، لكن كل هبوط سرعان ما يدركه صعود جديد، وهذا يدفع الجميع لإدراك حقيقة بسيطة.. خلاصتها أن مصر والسودان لا غنى لإحداهما عن الأخرى مهما بلغت درجة الخلاف بين الأنظمة الحاكمة هنا أو هناك، فمصر والسودان باقيان في هذا المكان منذ بدء الخليقة، وسوف يظلان كذلك، مهما كانت الأحداث أو التطورات في شمال الوادي أو جنوبه، وأن هناك تأثيرا وتأثرا متبادلين سوف ينتج أثرهما في كل الأحوال، ومن ثم فإن التعاون من أجل الصالح المشترك هو الأجدى والأكثر نفعا، وهو المنطق الطبيعي للأمور، وأنه مهما افترقت السبل فإنه ليس هناك مفر من العودة إلى التعاون والتفاهم والتنسيق من جديد.

وبعد ذكر المراجع واستعراض الدلائل يجزم الكاتب بأن مصر والسودان في عرف العلم والتاريخ شعب واحد. و أن وادي النيل كان من أقدم عصور التاريخ بلادًا واحدة جنسًا ولغة ودينًا وعادات، ولا يفرق بينهم إلا فارق اللون وهذا ينشأ عن اختلاف الإقليم فمن سكن أعالي النيل وتعرض لحرارة شمس خط الاستواء المحرقة لفحته أشعتها فاسودت بشرته مع توالي الزمن والسلالة أما من قطن الأقاليم الشمالية من الوادي فيخالف الأول ببياض بشرته ثم أن بين ذلك درجات تزداد في السمرة كلما قربت الديار من خط الاستواء.

لقد كان المؤلف الوطني يدرك ذلك ، فعمل على تفنيد مزاعم دعاة الخلاف والتمزق بالتأكيد على عناصر الوحدة، كذلك ندرك مدى التكامل بين مصر والسودان، وحاجتنا معا لتنمية القواسم المشتركة وتنحية أسباب الخلاف، لذلك أتينا بالكتاب من رفوف المكتبة القديمة ونفضنا عنه غبار السنين، وها نحن نقدمه للقارىء اليوم، تأكيدا على نبل هدف مؤلفه، وبعد نظره وحسه الوطني الرفيع.

وأخيرا ، فالكتاب فضلا عن الأدلة المختلفة التي يسوقها لتأكيد فكرته، فإنه يعتبر مرجعا إثنوجرافيا بما أثبت من معلومات عن القبائل التي سكنت السودان منذ القدم وحتى الربع الأول من القرن العشرين، فقد أثبت أسمائها وذكر عادات بعضها من خلال مشاهدات الرحالة والباحثين، كما قسمها إلى مجموعات بحسب أصولها العرقية، فهناك القبائل ذات الأصل الحامي الزنجي، والقبائل غير الزنجية، والقبائل النوبية وذات الأصول العربية، وهذا مما يثري الكتاب ويزيد من قيمته.

د. عزالدين جلال

الفصل الأول

مصر والسودان في نظر العلم والتاريخ

انصرفت الأفكار في العهد الأخير إلى الاهتمام بمسألة السودان أكثر من ذي قبل وقد تولى كثير من الكتاب شرح العلاقة المتينة التي تربط مصر بالسودان لإثبات أن الإقليميين بلد واحد يسكنها شعب واحد بيد أني ألاحظ أن أكثرهم صرف همه إلى الأدلة السياسية والاقتصادية وأثبتوا علاقة مصر بالسودان منذ عهد محمد علي، ولكن هناك من الحقائق العلمية والوثائق التاريخية ما يثبت أن مصر والسودان شقيقتان منذ العصور الغابرة لهذا أقدم بعض هذه الأدلة التاريخية.

(١) أن التوراة التي يدين بقدسيتها الانجليز مثل غيرهم من المسيحيين واليهود تنص صراحة على أن حام أنجب مصرايم الجد الأعلى للمصريين وكوش الجد الأعلى للغربيين والحبشة والسودان يعني أنها تثبت أن مصر والسودان شقيقتان وقد أثبت العلامة الفلامنكي (تييل) في كتابه المسمى تاريخ ديانة قدماء المصريين أن حام هو نفس "كيم" أو "كيمت" يعني الأرض السوداء وكان يطلقه قدماء المصريين على جميع بلاد النيل ثم أطلق على سكانها يضاف إليهم سكان (بونت) يعني البونيين (سكان جنوب جزيرة العرب والصومال وجنوب ساحل البحر الأحمر الغربي) الذين كانوا يعتبرونهم أخوانهم وأقاربهم يعني أن

قدماء المصريين كانوا يعتبرون سكان السودان ومصر وملحقاتها بل والساحل الجنوبي من جزيرة العرب أخوانهم في العرق والجنسية وقد أثبتت الحقائق العلمية هذه القرابة كما سنبينه فيما يلي.

(٢) جاء في كتاب "إسطورة المعبود حورس" لمؤلفه نافيل أن قدماء المصريين كانوا يصرحون بأنه كان يسكن بوادي النيل بعض القبائل الملحدة التي لا تعبد آلهة مصر خصوصاً إله الشمس رع فحارهم هذا المعبود وقهرهم شر قهر وأباد أكثرهم بيد أن قسماً منهم تمزق أيدي سبا ففر منه فريق إلى الشمال فسكنوا أسيا ومنهم القبائل البدوية وفريق آخر فر إلى الغرب فسكنوا ليبيا والباقون فروا جنوباً فتوطنوا بالنوبة والسودان أن هذه القصة تثبت القرابة العرقية بين هذه الأمم وترى أن الخلاف بينهم أنما شجر بسبب الدين، وهو ما تراه في كل الأمم قديماص وحديثاً وبالطبع لم يضع قدماء المصريين هذه الحكاية لكي يستعملها الخلف في رد مزاعم الانجليز.

(٣) جاء في الكتاب الذي نقله الملازم فرنسيس ولفورد الانجليزي من بيورناس (يعني كتب الهنود المقدسة) الذي قدمه سنة ١٨٠٧ لجمعية الأبحاث الأسيوية فنشرته أن (شرما) هو اسم شام الذي هاجرت أولاده من مصر إلى الجنوب يعني إلى أثيوبيا والحبشة وازان وكانوا أهل سلم وشيدوا مدينة (نباواتي) معناها الجميلة التي سماها اليونانيون (نابتا) ولقبوا سكانها (نابتو) وكانت هجرتهم من مصر في عهد ساني يعني تايفون أو ساتورن وكانوا يتعيشون بصيد الفيلة ويأكلون لحمها ويبيعون

أسنانها وقد صرح بطليموس بأن مساكنهم عند منابع النيل وذكر الجغرافي النوبي عند بحيرة الآلهة (الواقعة عند جبال القمر بأواسط أفريقيا) جبلاً سماه الجبل المبرقش أو المزين لأنه في الغالب كان به كتابات هيروغليفية وصور ملونة كما هو الحل في بقية الهياكل المصرية هذه النبذة المأخوذة من كتب الهنود المقدسة تدل صراحة على القرابة المتينة والروابط العرقية من سكان بلاد النيل من منبعه إلى مصبه والناقل لها إنجليزي لا يتهم بالتحزب للمصريين ومع هذا إذا أصرفنا النظر عن أقوال هذه الكتب الدينية الثلاثة مؤقتاً وسألنا التاريخ وعلماء أنساب الأمم عن الحقيقة المنشودة نسمع ما يأتي:

(٤) جاء في كتاب مصر والحياة المصرية في القدم لمؤلفه العلامة (ادولف ابرمان) مدير متحف برلين سابقاً وأكبر ثقة في اللغة المصرية القديمة والتاريخ المصري المطبوع بتوينحين سنة **١٨٨٥** ص**٥٢** أن هنالك منازعة مستمرة بين علماء أنساب الأمم وبين علماء اشتقاق اللغات بشأن أصل قدماء المصريين فالأولون يصرحون بأن أصل قدماء المصريين أفريقيون بينما الآخرون يزعمون أنهم من أصل أسيوي يقول الأولون أنه ليس في تشكيل جسم المصري وبنية أعضائه ما قد يميزه عن جيرانه الأفريقيين، بل الحقيقة الحرية بالإتباع أن من يبدأ بسكان مصر ويتوغل حتى مناطق خط الاستواء بأفريقيا مقارناً السكان بعضهم ببعض يحكم بأنهم من عنصر واحد وأنهم حلقات من سلسلة عرقية لا يمكن التفريق بينهم قط فلا يمكن تفريق سكان مصر عن البربر سكان ساحل شمال إفريقيا ولا أولئك عن كلوي أو التبو ولا هؤلاء عن سكان بحيرة

تشاد بل الجميع في نظر علماء أنساب الأمم عنصر واحد قد أوجد طرز المعيشة ومؤثرات طبيعة البلدان وهواء الأقليم ما قد يشاهد بينهم من الخلاف الظاهري، أضف إلى ذلك أن قدماء المصريين كان لديهم من العادات ما هو موجود لدى الشعوب الساكنة في أعالي النيل اليوم أذكر من ذلك صقل الشعر البديع الذي كان يستعمل كوسادة الرأس لا يزال مستعملا إلى اليوم بشرق السودان في تزيين الشعر وترتيبه كما أن السيف الهلالي الشكل الفريد في بابه الذي يحمله كل أمير من قبائل (منبتو) هو صورة طبق الأصل مما كان يتقلده فرعون مصر، وجاء في نفس الكتاب ص٥٥ "أن سكان ليبيا ومصر وأثيوبيا كانوا منذ القدم عنصراً واحداً (بنية أجسامهم وتشكلات أعضائهم متطابقة) إفريقي المنشأ بالرغم من قبولهم لغة أسيوية" وجاء في نفس الكتاب المذكور طبعة سنة ١٩٢٢ الذي أخرجه أيرمان بالاشتراك مع تلميذه (رانكي) ص٢٥ عند تمييز المصريين عن الأقوام المجاورة لهم ما يأتي: "بيد أنهم كانوا يمتون بأواصر القرابة إلى جيرانهم الجنوبيين يعني سكان النوبة".

سنرى فيما بعد أن الجنوب كان يطلقه المصريون على سكان السودان والنوبة والحبشة وبونت لا كما يعتبره العلامة رانكي المذكور) هذه النصوص العلمية صريحة جداً تؤيد النبذات الدينية السالفة الذكر.

(٥) جاء في تاريخ الأزمنة القديمة لمؤلفه العلامة الكبير ادوار ماير طبعه سنة ١٩٢١ ص٤٢-٤٣ ما يأتي: أن سكان شمال إفريقيا عامة – بخلاف سكان مجاهل إفريقيا الزنوج– يكونون إحدى شعب العنصر

القوقازي (الأبيض) ولشدة أواصر القرابة والنسب العنصري بينهم نستعير لهم من التوراة اسم حاميين، ففي الصحراء الكبرى وفي شمال وغرب إفريقيا تسكن قبائل الليبيين والموريين (اسم سكان مراكش) وتمتد منطقتهم حتى نهاية جزائر الكناري في بحر المحيط الأطلسي وكانت جميع هذه القبائل يسميها قدماء المصريين زمحوا وإليها تنتسب سكان زحينو أومارمريكا والليبيون (يكتبه المصريون ريبو وينطقونه ليبو) سكان هضبة برقة التي أطلق عليها اليونانيون اسم كيرين واستعملوه بعدئذ لجميع سكان إفريقيا التي تربطهم أواصر النسب العرقية، وفي الغرب قبائل مشوشة سكان السيرت، ومن الحاميين أيضاً سكان مصر وجميع القبائل الشديدة الشكيمة المحبة للحرب الممتدة مناطقها من مصر في شرق إفريقيا حتى منتهى بلاد الصومال جنوباً وكلها لون بشرة أفرادها كلون البرنزأو القهوة ومن أهمها قبائل الماظوي التي صارت تلقب فيما بعد بالمازوي وهم سكان هضبة النوبة المسكونة من الأحجار الرملية وهم أجداد قبائل البشارية والبيجا ومن القبائل الحامية أو أقارب قدماء المصريين أيضاً قبائل بلاد الكندر من البونيين (سواحل الصومال) الذين ترى صورهم في المعابد والقابر المصرية صورة طبق الصل من قدماء المصريين بشرة حمراء معتمة ولحية قصيرة وخصلة من الشعر في قمة الرأس أو شعر مستعار كما كان حال قدماء المصريين منذ العائلة الأولى وهم أجداد أو على الأقل أقرب الناس إلى قبائل الصومال والجاللا والماساي (سكان ازان يعني شرق إفريقيا الألماني وزنجبار) وهذه القبائل استوطنت بلاد الحبشة والمناطق الواقعة في جنوبها (يعني القسم الشرقي

من السودان حتى ساحل المحيط الهندي) واختلطت بقبائل الزنوج فتأثرت بها كما أنها طالما أثرت على القبائل الزنجية بالتزاوج معها منذ القدم ومن القبائل الحامية أيضاً العونطيو (التي كانت تقرأ قديما (انو) وفي أواخر التاريخ المصري القديم وجدت قبائل حامية (سكنة الكهوف) كانت تقطن في سلسلة جبال العرب لرد عادينها ومنع غارتها على قوافل تجارتها وظهر أن هذا الاسم كان يطلق على سكان الجبال والصحاري الشرقية وكذلك على أعالي بلاد النوبة.

وجاء في ص٤٤-٤٦ أن بلاد النوبة التي كان يسميها قدماء المصريين كينست أوتوسيتي هي الدرب الوحيد الموصل بين مدينة الشمال ومجاهل إفريقيا بالرغم عن ضيقه وقلة خصبه ومن مصب العطبرة تبدأ المناطق التي تسكنها الزنوج وتنبطح مترامية الأطراف من جوف إفريقيا حتى مناطق خط الاستواء وقد تمكنت قبائل الزنوج من التقدم بالنوبة وتخطت حدود مصر هذا فضلاً عن أنه طالما أحضرت منها منذ القدم الآلاف العديدة كأسرى أو خدم أو جند أو رجال شرطة واسكنوا بمصر ، فبعد حين اختلطوا وتزاوجوا مع قدماء المصريين فامتزج دم العنصرين كثيراً وبالطبع أن أشد اختلاط وامتزاج بين العنصر المصري القديم والزنوج كان في المنطقة الواقعة ما بين جبل السلسلة والشلال الثاني حتى أصبح أهلها منذ القدم كما هم اليوم أقرب إلى الزنوج منهم للعنصر القوقازي وها هو حاكم منطقة فيلة (على عهد الملك بيبي الثاني) المسمى بيبي نخت مرسوم في مقبرته وصورته تبرهن على أنه زنجي لونه برنزي قاتم جداً، وأن هذا الإقليم الملحق بمصر كان يطلق

عليه اسم توسيتي مثل بقية بلاد النوبة مع أن الحفريات الفنية أثبتت أن مقابر النوبة من مبدأ التاريخ كانت خالية تماماً من العرق الزنجي ، وكانت مأهولة هي ومصر بعنصر واحد، ولكن في عهد العائلة الثالثة بدأ الدم الزنجي يختلط تدريجياً بالنوبيين بازدياد مطرد ومع أن التشكيلات الجسمانية لسكان مصر وبلاد النوبة حتى الشلال الثاني كانت واحدة فإن الرقي الفني والعلمي بقى متأخراً بالنوبة ومصر العليا منذ ثلاث آلاف سنة قبل الميلاد .

ويؤيد ذلك أن مخطوطات الأهرامات وقائمة الأجناس البشرية المعروفة لقدماء المصريين ذكر بها اسم النوبيين مراراً دون أن يذكر بها اسم الزنوج قط أنه لا يصح أن يفهم من ذلك أن الزنوج لم تكن موجودة بمصر من قبل ذلك لأن لدينا أدلة تبرهن على وجود الدم الزنجي بمصر حتى قبل أزمنة التاريخ ولكن مقداره كان قليلاً من جهة ولم تكن الزنوج أعداء لمصر ولا شنوا عليها غارات، ومنذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد يسكن المناطق الخصبة ببلاد النوبة حتى اليوم قبائل زنجية بينما القبائل الحامية التي لم تختلط لهم حافظت على بداوتها في الهضاب المجاورة وهي قبائل البجا وصارت تشن الغارة على جيرانهم المزارعين بغية النهب والسلب.

(٦) يقول ديودوروس في الباب الثالث من كتابه أن أصل المصريين جالية نزحت من أنوبيا (بلاد النوبة وصارت تطلق على الحبشة فيما بعد) وقال هيرودوت أن طقوس العبادة في ناباتا وعقائد اللغة كانت صورة طبق الأصل لما كان بمصر أما ديودوروس فيؤيده (أولاً) أن موتى المصريين قبل أزمنة التاريخ كانت تدفن وقد وجهت رءوسها إلى جهة

الجنوب وتبدل ذلك منذ عهد مينا (ثانياً) أن العائلات المالكة جاءت من الجنوب (ثالثاً) أن قدماء المصريين استألفوا الحمار واستعملوه وكان قبلئذ يوجد ببلاد النوبة بصورة وحشية (رابعاً) أن البخور كان يستعمل في العبادة المصرية منذ القدم وما كان ذلك ممكناً لو لم يكن المصريون جاءوا من الجنوب حيث العلائق مع بلاد الصومال وجنوب بلاد العرب سهلة وممكنة، ويشرح حقيقة ما قاله هيرودوت الكشفيات والتدقيقات الفنية التي قام بها مدير القسم المصري في المتحف البريطاني ونشره في كتابه المسمى السودان المصري المطبوع بلوندره سنة ١٩٠٧ وتدقيقات العلامة الأمريكي الشهير جيمس هنري بريستد في كتبه العديدة خصوصاً كتابه المسمى آثار السودان والنوبة المطبوع سنة ١٩٠٨ وغيرهما إذ أثبت أن جميع هذه الآثار وما وجد بالسودان والنوبة من مدينة وعمران كله مأخوذ عن مصر وأدخله إلى هنالك أجدادنا المصريين ممدنو الأمم ومعلمو الشعوب ومطلع فجر المدينة كما يسميهم ماسبرو وبالطبع كانت الأقارب لديهم أولي المعروف فلا عجب إذا فضلوا إخوانهم في الجنسية على من عداهم وقد أبان أحد كبار أساتذة الألمان ما تقرأه عن فتح الأثيوبيين لمصر خطأ بل الحقيقة أن بعض أفراد العائلة الطيبية هاجروا إليها ومعهم الكهنة واجتهدوا في العمل لتخليص مصر من الغاصبين ولما هاجموا مصر استقبلهم الخلق كإخوانهم الصادقين أرباب الحق المشروع في العرش لا أعداء مغيرين وهذا أكبر دليل على مقدار وحدة البلدين والعنصرين.

(٧) جاء في: (Conversation Lexikon) لمؤلفه Brockhous

أن المصريين هم وزنوج إفريقيا من عرق واحد وكذلك قبائل البربر البشاريين والجاللا وخلافهم، وأما لغتهم فسامية وجاء في دائرة المعارف الكاثوليكية تحت مادة مصر ما يأتي: يؤكد علماء اشتقاق اللغات أن المصريين هاجروا في أول أزمنة التاريخ من غرب آسيا إما عن طريق برزخ السويس أو باب المندب بينما الطبيعيون يؤكدون أنهم نزحوا إليها عن طريق ليبيا يعني أنهم حاميون بينما آخرون يجعلون منشأهم في وسط إفريقيا، ولكن الحقيقة الثابتة هي أن المصريين من نفس فصيلة الليبيين وغيرهم من القبائل المتوطنة بشمال وأواسط إفريقيا وقد ذكرت التوراة خمسة من العناصر المكونة للأمة المصرية (سفر التكوين العاشر صحاح ١٣ – ١٤) تحت اسم مصرايم الأقسام العنصرية الآتية: (١) الذين يقول عنهم ماسبرو في كتابه تاريخ أمم الشرق القديمة المطبوع بباريس سنة ١٩٠٨ ص١٦ إنهم الروتو أو الرومينو وهو اسم المصريين الحقيقيين في اللغة الهيروغليفية (٢) واللابيم وهم وهم الليبيون (٣) نفتوشيم (يعني سكان توفنا أو متفيس) (٤) بتروسيم يعني سكان كوريس أو صعيد مصر وبلاد النوبة (٥) ولاناميم وهم الذين شيدوا (أون) الشمالية وهي عين شمس و (أون) الجنوبية وهي هرمنتيس وقد تم تصالب هذه العناصر في عهد العائلة الأولى.

(٨) يقول الأستاذ اليوت سميث في كتابه المسمى البقايا الجسمانية لقدماء المصريين المطبوع سنة ١٩١٠ وفي جريدة الأبحاث العلمية المنتشرة بالقاهرة عدد ٣٠ جزء ٣ شهر مارس سنة ١٩٠٩ بشأن سكان مصر ما يأتي: لقد كان من بين سكان مصر في الأزمنة قبل

التاريخ خصوصاً في الجثث التي عاينتها في مقابر نجا الدر (الواقعة إزاء جرجا) بكل تحقيق اثنان في المائة من أصل زنجي بيد أن هنالك عدا ذلك أجساد مخلوطة بدم زنجي ، إلا أنني لم أستطع البت بشأنها بصورة قطعية ولكن هذه النسبة أخذت في الزيادة المطردة منذ عهد العائلة الثالثة ويقول ادوار ماير ص٤٧ إن اسم نحوستو يطلق على جميع سكان بلاد الجنوب حتى أنه يشمل البونيين ولكنه في النصوص التاريخية يستعمل بلا شك علماً للزنوج دون غيرهم.

(٩) إن فليند ربيتري ينص صراحة في دائرة معارف تاريخ العالم لهارمسورث وفي تاريخ الأمم لهاتشنسون وفي أبحاثه بطور سينا وفي كتابه تاريخ مصر أولاً أن أقدم سكان مصر كانوا قبائل زنجية من سكنة الأدغال التي لا تزال أمثالها موجودة بحوضة النيجر وأعالي الكنغو ثم هاجمها سيل القبائل الليبية (الحامية) فقتلوا الرجال واستحيوا النساء ، وتزوجوا بهن ثم جاءت جماعات سامية من جنوب بلاد العرب ومن برزخ السويس ويصرح أنه كان بمصر خمسة عناصر مختلفة تصالبت وتمازجت فكونت العنصر المصري قبيل عهد منا ومع أنه قبل الحماية الإنجليزية على مصر وقبل أن يمزج السياسة بالعلم كان يقرر أن مهد المدينة بالعالم كله هي مصر فإنه حاول بعد الحماية نقل ذلك المعهد إلى علام (Elam) فإننا نكتفي بتسجيل أقواله ونتائج أبحاثه العلمية التي يقررها أكثر العلماء بشأن أصل المصريين حتى نرد بها على من يعمل على طمس الحقيقة ومكابرة المصريين بشأن وحدة مصر والسودان.

(١٠) يقول العلامة شواين فورت في ص٣٠ و٣١ في مقدمة دليل بدكير بشأن أصل قدماء المصريين ما يأتي: كان مؤرخو الرومان واليونان يؤكدون أن أصل المصريين أفريقي بحت حتى أن ديدروس نقل إلينا من مأثورات الأثيوبيين أن المصريين أصلهم جالبة أثيوبية توطنت بمصر كما أن نفس مصر هدية النيل ولكن بما أن أولئك المؤرخين ما كانوا يعرفون من سكان بلاد النيل إلا الفريق من البشر الذي نطلق عليه الآن اسم الحاميين الذين هاجروا من آسيا إلى إفريقيا وتوغلوا غرباً ثم عقبوا مجرى النيل إلى الشمال وأقوال الأثيوبيين تطابق تماماً نصوص التوراة التي تبين أن حام والد كل من مصرايم وكوش يعني مصر وبلاد النوبة فجعلهم العبرانيون أشخاصاً بدل شعوب ومنذ أن أماط ليبسيوس اللثام عن حقيقة الحاميين صرنا نعبر بهذا الاسم عن نوع من البشر متحد الأصل والمنشأ والعادات اكتسح نصف إفريقيا وابتلع قسماً من سكانها الأقدمين وأجبر الباقين على الهجرة إلى الجنوب والغرب وما زال في عنفوانه حتى بره الساميون وقد أبان ماسبرو أن الليبيين أثروا على مدينة مصر التي كان لسكان غرب آسيا من البابليين حاميون والخلاصة أن سكان وادي النيل تكونوا من امتزاج وتصالب السكان الأصليين (الزنوج وسكان الأدغال والأقزام وغيرهم) مع القبائل الحامية الآتية من آسيا عن طريق الصومال والحبشة والنوبة ثم تحسن العنصر بورود عنصر راق جديد يكون للعائلات المالكة التي أتى إلى مصر حاملاً مدينة راقية ... إلخ.

(١١) جاء في كتاب الشعوب والعناصر واللغات لمؤلفة فليكس فول بوشان المطبوع ببرلين سنة ١٩٢٢ ص٣١ سنة ١٨٧٩ صرح

روبرت هارتمان وقد كان في وقته من أكبر المتخصصين بشئون إفريقيا العارفين بحقيقة شعوبها بما يأتي: إن السائح المدقق لو غادر القاهرة معقباً مجرى النيل صوب أواسط إفريقية لا يستطيع أن يعين بالظبط أين إنتهاء المصري بلونه الفاتح وابتداء الزنجي بلونه الأسود بهذه الجملة قرر الوحدة العرقية لكل إفريقيا وفي ص٤١ و٤٢ أننا لم نستطع بعد تحليل المنشأ العرقي لزنوج السودان بوضوح تام لأن النجاح في بلوغ هذه الغاية متوقف على فحص هذه المسألة مع جيرانهم الشماليين (بالطبع وفي مقدمتهم المصريين) فقدماء المصريين والبربر (سكان بلاد المغرب) والقسم الأعظم من الأحباش والجاللا والصومال ومازاي من فصيلة واحدة متقاربة في لغاتها جداً متحدة في مدينتها المادية وأصلها إفريقي وعلماء اشتقاق اللغات يطلقون على هذه الفصيلة اسم الحاميين وكذلك علماء أنساب ثقات يتفقون على وحدة هذه الشعوب ، وأحسنوا صنعاً بقبول هذه التسمية إذ المعول على المدلول لا مجرد الاسم..

نعم إننا نعرف أن قدماء المصريين لم يكونوا حاميين بحت بل يشوب دماءهم مزيج من السامية بينما البربر امتزج دمهم بالعنصر الأوروبي والزنجي والسامي ، أما الأحباش فعدا الدم الحامي فإن دمهم به مقداراً كبيراً من الدم العربي وكذلك حال الجاللا والصوماليين بينما المازاريين اختلطت حاميتهم بدم من قبائل البانطو ولكن بالرغم من هذا المزج الدموي تعتبر كل هذه الشعوب أمة واحدة من عنصر حامي وصفاتهم حامية وبالطبع هذه الصفات يختلف مقدار صفاء حاميتها في سكان هذه الأرجاء الواسعة بيد أن الإنسان يستطيع تتبع هذه الصفات

الحامية حتى في جنوب إفريقيا يعني بين الاوتينتوت (هوتينتوت) حيث نجد الكلمة المذكرة تنتهي بحرف ب بينما الكلمة المؤنثة تنتهي بحرف ث أو س يعني تماماً مثل ما هو الحال لدى قبائل الباجا أو ما كان لدى قدماء المصريين قبل آلاف من السنين حيث كانت علامة التأنيث عندهم ث أو س وعلامة التذكير (P) أو ف وكذلك نجد صنعة الجدل الحلزوني التي اشتهر بها قدماء المصريين موجود بكل تحقيق وإتقان في كل إفريقيا ، حتى في أوفامبو وكذلك نوع البقر المصري نجده في كل السودان وأواسط إفريقيا عند الهوتنتوت بينما بقر شرق إفريقيا من النوع الهندي – ص(٤٤) اكتشف الرحالة الانجليزي في إيتوري الواقعة في الشمال الغربي روينزوري الحيوان الذي ظن أنه اندرس عند قدماء المصريين منذ القدم ذا الثديين المسمى (Okapi) كان هذا الحيوان مقدساً عند قدماء المصريين للمعبود (Set) أو تيفون إله الشر ، لأنه كان معبود القبائل السامية المتوطنة بسلسلة جبال العرب ، والذين أجلوا عن مصر لكثرة شرورهم وغاراتهم ضد سكان الدلتا وهو أقدم وأهم معبودات الساميين ، وفي قصة أوزوريس يتهم بقتله ولكن على عهد العائلة الحادية والعشرين أحبه المصريون واعتبروه من بين آلهتهم (ةوفي عهد سيادة عباد قديماً هاجرت قبائل شرما أو شامإلى منابع النيل بمصر على ما جاء من كتب الهنود المقدسة للمغرب) ص١٠٥ أن صنع البرونز وصبه في سواحل غينيا الشمالية مأخوذ عن مصر ، وكثير من عقائد السودان الدينية خصوصاً عند الليس ينطبق على المصري الذي شرحه لنا إيرمان وفي غرب السودان يوجد الأسبوع المكون من سبعة أيام كما هو الحال بمصر

.. إلخ، وكلها آثار من نفوذ المدينة المصرية بإفريقيا.

(١٢) إن من يقرأ الفصلين الممتعين في كتاب الدكتور جورج بوشان المطبوع باستوتغارت سنة ١٩٢٢ بشأن سكان شمال وشرق إفريقيا يجد من الإيضاحات الوافية والمعلومات الوثيقة ما يبرهن على أن سكان مصر والسودان والملحقات كلها من عنصر واحد بل إن نظرة واحدة للخريطة المبينة عناصر سكان إفريقيا الذي وضعها الدكتور ب اشتروك ونشرت بالكتاب المذكور ما بين صحيفتين ٤٤٨ و٤٤٩ ومن يتأمل في خرائط أطلس إفريقيا الذي نشره المعهد العلمي الخاص بدرس مسائل إفريقية العلمية والعرقية يقر بهذه الحقيقة.

(١٣) جاء في كتاب تاريخ مصر لمؤلفه بريستد عن أصل قدماء المصريين ما يأتي: أن أجداد المصريين لهم نسب "بالليبيين من جهة وبسكان شرق إفريقيا يعني والجاللا والصوماليين والحبشة والباجا (النوبيين) وقبائل أخرى من جهة ثانية ولقد تركت غارة سامية دمغتها السامية بصورة جلية في لغات هذه القبائل الإفريقية وأقدم طبقات اللغة المصرية القديمة ينم لنا على أنها كانت خليطاً من لهجات هذه القبائل وبالرغم من كونها بها صبغة إفريقية فإن بنيتها وتشكلاتها سامية ، وقد تم تكاملها منذ أقدم أزمنة التاريخ ومع هذا فإن اختلاط الليبيين والإفريقيين بالمصريين استمر حتى في الأزمنة التاريخية ولدينا وثائق تاريخية تثبت قرابة المصريين والليبيين العرقية منذ ثلاثة آلاف سنة أما علاقة المصريين بالساميين فترجع إلى أقدم عهود التاريخ وليس لدينا وسائط تعين لنا زمن

هذا الاختلاط ولا طريق حصوله بيد أنه من المرجح أنه كان وقوعه عن طريق شبه جزيرة طور سينا كما حدث ثانية في زمن الفتوحات الإسلامية، ومع أن آثار الساميين اللغوية بقيت محفوظة في اللغة المصرية فإن حياة الصحراء والبداوة ليس لها أثر في حياة مصر والديانة المصرية خلو من آثار الساميين أما صور البونتيين التي رسمها المصريون في هياكلهم فتنطبق تماماً على صور المصريين.

والخلاصة أن ما ادعاه بعض المؤرخين (أمثال راولنيسون قديماً بل وكل المؤلفين حتى سنة ١٨٤٣ حيث برهن العلامة مورتون على بطلان هذا الرأي فاتبعه المؤرخون الحديثيون واعترفوا بأن المصري من العرق الأبيض للمغرب) من أن المصري زنجي بحت كذب لا أصل له بل كل ما يقال إنه ربما اختلط بدمه بعض الدم الزنجي بمقدار قليل لا يستحق الذكر.

كل الأدلة التي ذكرتها تبرهن بصورة واضحة أن أصل قدماء المصريين حاميون اختلط بهم دم سامي ومقدار من الدم الزنجي، وإنه وسكان النوبة والحبشة والصومال من فصيلة واحدة ، وكذلك الأكثرية السودانية مثله ولكني أريد أن أبين ما يقوله الإنجليز بشأن أصل السودانيين فأعرب للقراء القطعة الآتية من دائرة المعارف الإنجليزية ليروا كيف أن السودانيين من حيث المنشأ صورة طبق الأصل مثل إخوانهم المصريين .

يقول دائرة المعارف الإنجليزية عن مادة (سودان) ما يأتي: " إن القسم الأعلى من السودان تسكنه قبائل رحالة من الحاميين والساميين يسمون عرباً وسكان حوضة النيل في شمال الخرطوم أيضاً خليط من

أجناس مختلفة خصوصاً النوبيين الفاطنين بولاية دنقله وأهم سكان صحراء النوبة هي قبائل العبابدة والبشارية التي ترعى جالها في الجبال القريبة من ساحل البحر الأحمر .. أما في المنطقة الواقعة في جنوب بربر وسواكن فتقطن الهدندوة بينما المنطقة الواقعة بين العطبرة والنيل الأزرق مأهولة بالجعليين والحسانية والشكرية – والحسانية والحسنات تقطنان غالباً بالجزيرة والكبابيش تسكن البلاد الواقعة بشمال كردفان التي تأهلها قبائل البقارة وفي دارفور الخلق مزيج من العرب والزنوج، أما قبائل الزنوج الساكنة بحياض النيل حوالي بحيرة نو، وفي شمالها والمنطقة الواقعة في شرق النيل تسكنها قبائل باري والنور والدنكة وهذه الأخيرة تنتشر أفخاذها في مديرية بحر الغزال أيضاً وفي غرب منطقة الشلوك وجنوب كردفان توجد قبائل (النوبة) (Nubos) التي يظن أنها منشأ النوبيين وفي الجنوب الغربي من بحر الغزال توجد قبائل البونجو وفي خط تقاسيم مياه النيل والكونغو توجد قبائل نيام نيام."

إن القارئ لهذه القطعة يرى أن القسم الأعظم من سكان السودان حاميون وساميون وإن الأقلية من الزنوج بينها قبائل نوبية لعلها التي هاجرت من مصر على عهد عبادة (.Set) أو من نفس عنصر قدماء المصريين ومن يعرف أن الإسلام انتشر بالسودان منذ القرن التاسع بعد الميلاد يدرك أهمية الروابط الموجودة بين مصر وأهالي السودان فهي عنصرية ولغوية ودينية واجتماعية بالرغم من مدعيات المستعمرين ..

وأود أن أشرح نقطتين قد يحدث لدى البعض بسببها شيء من

اللبس أولاً أن الحاميين ليسوا أسويين كما كان الرأي السائد بين أكثر المؤرخين الذين كانوا يجعلون مهد ظهور البشرية هضاب البامير وما حولها بل الحقيقة هي أن منشأ العرق الأبيض هي جبال الأطلس ومنها انتشر بأوروبا وآسيا ولمن شاء أن يراجع أبحاث برينتون وفروبينيوس ، وكل المدققين الذين قاموا بحفريات فنية بشمال إفريقيا، وقد كانت هجرة الساميين سابقة لانتشار الحاميين وكان آخر قبائلهم بإفريقيا سكان سلسلة جبال العرب التي أجلاها المصريون بعد حروب عنيفة وهذا يشرح للقارئ منشأ المؤثرات السامية باللغة المصرية القديمة، ثانياً قد يرى القارئ تضارباً بين اعتقاد المصريين أن النوبيين طردوا من مصر إلى الجنوب وقول الأثيوبيين أن المصريين جالية أثيوبية نزحت فتوطنت بوادي النيل (مصر) ولا يدرك سر وجود قبائل النوبا بين قبائل الزنوج بجنوب كردوفان ولكن من يطالع كتاب العلامة ليوفروبينوس الذي ظهر في شهر فبراير الماضي المسمى إفريقيا المجهولة أو غير المعروفة يفقه الحقيقة ويتأكد من صدق القولين إذ أبان المؤلف المذكور أن الحاميين انتشروا من جبال الأطلس فاحتلوا كل شمال إفريقيا حتى خط يمتد من الرأس الأخضر بغرب إفريقيا إلى مصوع ولكنه ينعرج من مصب السوباط حتى زنجبار ، وبعد حين جاء سيل من البشر سماهم الكلشيين (صحة اسم الكوشيين) من بلاد العرب وسواحل الصومال واريتريا فانساب إلى الغرب مكتسحاً الحبشة وشرق السودان معقباً مجرى النيل إلى مصر حتى حوالي طيبة وكان تصادم هذه الموجة الكاشية مع سابقتها الحامية بالحبشة والنوبة ومصر والقبائل التي لم تقو على مقاومة الموجة الثانية

هاجرت إلى الغرب،بناء على هذه الحقيقة المدعمة على أبحاث أكبر ثقة في مسائل المدينة والقرابة العرقية بإفريقيا نعرف صدق اعتقاد المصريين والأثيوبيين بيد أن الأولى سابقة للثانية ونعرف أن قبائل النوبا الموجودة بكوردفان من القبائل التي اجتنبت تصادم التيارين المذكورين واضطرت أن تسكن بين الزنوج مثل ما فعله غيرها حتى في حوضة النيجر وأختم مقالي هذا بنبذة ترجمها العلامة إيرمان من ورقة البردي نمرة ٣٤٤ المحفوظة بمتحف لابدن الشارحة وقوع أول ثورة عرفها التاريخ وكيف أن الجنود الزنوج الموجودة بالجيش بذلت قصارى جهدها في رد عادية متوحشي الساميين عن بلاد مصر والنبذة المذكورة عبارة عن المبدأ الذي كانت تنادي به الجنود الزنجية المذكورة ومآله (أن من يدافع عن أخيه إنما يدافع عن نفسه) وفي ذلك من صدق الأخاء الموجود بين الشقيقين منذ أوائل التاريخ المصري ما فيه عبرة لأولي الألباب.

الفصل الثاني

معبودات ومقدسات

مصر والسودان في عرف العلم والتاريخ شعب واحد وقرءوا فيما سبق أن جميع سكان مصر كانوا من عنصر البوشمان، ولكني سمعت بعض البسطاء يعجبون من كون المصريين أرباب المدينة العالمية والعلوم الراقية يمتون بنسبهم إلى سكان مجاهل إفريقيا الغارقين في بحور الجهل والهمجية ، ولكني ألفت نظر هذا المعترض إلى أن المدنية اكتسبها المصريون بذكائهم في بحر عصور طويلة ، فأجدادهم كانوا هم وسكان السودان واحداً في كل شيء، وها هو العلامة ماسبرو يقول لنا في كتابه المسمى فجر المدينة ص٥٢ (إن لدينا من الأسباب المتينة ما يجعلنا نحكم بحق بأن أجداد قدماء المصريين كانوا نصف متوحشين مثل سكان مجاهل إفريقيا وأمريكا لهم من التشكيلات الاجتماعية والأسلحة والآلات مثل ما لدى أولئك) ..

ويقول في ص٥٣ (كان رجال مصر القديمة يسيرون كما ولدتهم أمهاتهم عاريي الأجسام ما عدا الأمراء والأعيان فكانوا يتزينون بجلود الفهود يأتزرون بها حيناً ويحملونها على أكتافهم أخرى والذيل يمس كعابهم كما نشاهد فيما بعد في صور زنوج مناطق أعالي النيل وكانوا يدهنون أجسامهم بالشحم والزيت ويوشمون وجوههم وفي بعض الأحيان

أجسامهم بيد أن هذه العادات زالت مع الزمن ولم يبق لها أثر إلا بين الطبقات الدنيا) من كل هذا نجد أن المصريين كانوا صورة طبق الأصل من سكان أواسط إفريقيا خصوصاً أعالي حياض النيل، ومع هذا فنفس أساطير قدماء المصريين تشهد صراحة بذلك جاء في ص١٧٤ من كتاب فجر المدينة لماسبرو العبارة الآتية:

"كان قدماء المصريين وقتئذ نصف متوحشين وكانوا من أكلة لحوم البشر وإن عاشوا أحياناً على ثمار الأرض فإنهم لم يكونوا قط يفلحونها أو يزرعونها فعلمهم أوزوريس صنع آلات الزراعة –المحراث والفأس– وعلمهم فلاحة الحقول وزراعة الحبوب وحصادها وزراعة الكروم وأرجعتهم إيزيس عن أكل لحم البشر وشفت أمراضهم والسحر وعلمتهم قاعدة الزواج الشرعي وكيفية طحن الحبوب بالرحى وصنع الخبز من الدقيق واخترعت النول بمعاونة شقيقتها نفتيس وكانت أول من نسج الأقمشة وصبغها ولم يكن للمصريين دين حتى وضع أوزوريس لهم الشريعة وعلمهم الطقوس الدينية وكتب لهم أسفار الدين وشيد المباني في طيبة .. إلخ" ..

هذه الأسطورة الدينية تبرهن لنا على صدق القرابة بين مصر والسودان وترينا نوع العلائق المتينة بين البلدين حتى قبل أن يبدأ عهد التاريخ المعروف ، ولكن مما يزيد هذه العلائق وضوحاً ويبرهن على استحالة التفريق بين المصري والسوداني أن يعرف القارئ أن أرباب مصر كانت محترمة ومعبودة في أرجاء السودان مثلها بمصر بل إن عبادة

أوزوريس السوداني بمصر وآمون المصري بمرور نباتاً بالسودان بزت تقريباً كل ما عداها بتلك الأرجاء فلا غرابة إذا رأينا شامبليون يقول في كتابه المسمى (خطابات كتبت بمصر طبعة ثانية بباريس سنة ١٨٣٣ ص١٥٧) "إن هذه المعبودات قد قسمت أرجاء مصر والنوبة (يعني السودان) فيما بينها حتى كأنها ملوك إقطاعيات اقتسمت إدارة البلاد فيما بينهم" وإذا كانت الأرباب بالقطرين من أسرة واحدة كما رأيت فعبادهم كذلك تبعاً لقاعدة الطوطمة التي تجعل عباد كل رب من سلالته.

قلنا فيما سبق أن هاتور وشجرة الجميز المقدسة وعدة من معبودات مصر كلها من بونت وأن الصل والتمساح وفرس المقدسة بمصر أصلها سودانية، واليوم أود أن أثبت للقارئ أن أوزوريس، وايزيس وحورس أيضاً سودانية يعني أن أكبر معبودات مصر سودانية، وبما أن عهد دخول ديانتها إلى مصر يرجع إلى قبل أزمنة التاريخ فيرى كل منصف أن العلائق الدينية والمعنوية بين البلدين ترجع إلى مبدأ الخليقة رغم مكابرة الغاصبين وجشع مستعمري الإنجليز، جاء في ص١٧٣ من كتاب (فجر المدينة) لماسبيرو .."ولقد كان أوزوريس جميل تفاسير الوجه أسود البشرة .. إلخ " وجاءت نفس هذه الأوصاف أيضاً في كتاب (قصة إيزيس وأوزوريس) طبعة ليمان بند ٣٣ ص٥٧ وجاء في كتاب (أخلاق المصريين وعاداتهم) لمؤلفه ويلكينسون الطبعة الثانية ج٣ ص٨١) إن أوزوريس يصور دائماً بوجه أسود وأيد سوداء أو خضراء اللون مثل أرباب الموتى ولعل ذلك هو السبب في الاعتقاد بأنه كان أسود) واعتقد ماسبيرو أن سمرته واسوداده تشبها بوجه الموميا ، ولكني

أعتقد عكس ذلك يعني أن لون المومياء الأسود لم يعمله المصريون إلا تقرباً من أوزوريس إله الموتى، ومما يبرهن ذلك أن أكثرية المصريين قبل العائلات المالكة كانوا من البوشمان أو العنصر الأسود غير الزنجي وكان أحب المعبودات إليهم أوزوريس ابن جلدتهم حتى أنهم بالرغم من سيطرة العائلات المالكة، وبالرغم من سمو دين معبودهم رع استمرت الأهالي على عبادة أوزوريس بل واستحالت جميع صفات رع وتعاليمه لأوزوريس ولمن شاء الوقوف على تفاصيل هذا التطور الديني أن يطالع الفصل الممتع لمسطور في كتاب (نمو الديانة المصرية ورقيها التدريجي) لمؤلفه بريستد، من كل ما تقدم أن أوزوريس منفذ مصر من الهمجية وإيزيس شقيقته مخرجتهم من الوحشية كانا من العنصر الأسود الذي قلنا أنه غير زنجي وأن أكثرية سكان السودان ومصر منه.

أما حورس الذي أجلى عن مصر إتباع ست المفسدين فقد كان رب مؤسسي العائلات المالكة التي جاءت إلى مصر تحمل الحديد وصناعة التعدين والصيقلة من أعالي النيل ، بناء على أقوال العلامة نافيل في مقالته البديعة المنشورة في مجلة (ريفيو أرشيو لوجيك سنة **١٩١٣**) ص**٥٢** و**٥٤** ومنها نفهم أن عبده أوزوريس وإيزيس أقدم سكان مصر وأن عبدة حوروس كانوا من نفس العنصر الأسود الغير الزنجي شاركوا إخوانهم في تطهير البلاد من العنصر الضار الأشقر اللون الأحمر الشعر عباد "ست".

قد يقول البعض أن هذه الأرباب وأن تكن سودانية الأصل إلا أنها

توطنت بمصر وانقطعت كل علاقاتها بالسودان، فلا معنى لاعتبارها من معبودات السودانيين فهل لديك أدلة أخرى تبرهن على تقديس المصريين لأرباب السودان في الأزمنة التاريخية وجوابي عليه بالإيجاب الذي لا يقبل أي نقض، جاء في مخطوطة الأهرامات طبعة ماسبيرو السطر ١٩٩ وما يليه من مخطوطة أهرام بيبي الأول هذا نص تعريبه: أن "خنسو" يعني انحا حاكم بلاد الجنوب أو (طيطوني) العظيم حاكم تا كنسيت أو "سيت" المائل تحت أشجاره يحبون ويجلون بيبي هذا ويقيمون السلم لبيبي هذا) وقد علق بودج في ص٧ –٥٢٦ من كتاب تاريخ السودان المصري على هذا النص بقوله "أن المعبود خنسو الملقب بأنحا كان أكبر معبودات السودان وطيطون معبود المنطقة الواقعة بين الشلالين الأول والثاني وسيت كان معبود الصحراء الشرقية وشرق الدلتا والجاليات المصرية بطور سينا والسلم إشارة إلى الأسطورة الدينية القائلة بأن أوزوريس استعمله في صعوده من هذه الدنيا إلى السماء عند موته بزملة حوروس وسيت" وإننا لا نعرف هل أراد مؤلف هذه العبارة المسطورة بأهرام بيبي الأول أن يقدمها كتحية للشعب السوداني أم أراد أن ينبئنا بأن سيطرة ملكه قد شملت كل السودان وأهله بل ومعبوداته أيضاً؟ وعلى كلتا الحالتين فإن هذه العبارة ذات أهمية مخصوصة فهي أول مرة على ما أعرفه ذكر فيها اسم المعبود طيطون ، وتبرهن لنا على إن المصريين كانوا يعتبرون معبودات السودانيين من القدسية والأهمية بحيث تستحق الذكر بين آلهة مصر ، وإن الرمز المستعمل لاسم المعبود خنسو في هذه العبارة يصادف في أهرامات مرو (أهرام نمرة ١ من الزمرة الشمالية)

وهذا أحد الرموز الأربعة التي كانت الكهنة تحملها في الأعلام أبان الطقوس الدينية ومن هذا نعرف أنه استمر كأحد معبودات السودان الأربعة المهمة حتى على عهد حكومة مرو مع حداثته) أظن أنه لا معنى للتعليق بعد اعتراف أكبر ثقة انجليزي في هذا الباب بالحرمة المتبادلة بل بالأخوة الدينية منذ القدم بين الطرفين والتي استمرت إلى قبيل ظهور النصرانية والإسلام، فسيرى القارئ عندما نذكر له أعمال الملوك الفاتحين أنه ما من ملك مصري شيد بالسودان معبداً إلا وجعله لعبادة رب سوداني ورب مصري كما أنه ما من ملك أثيوبي إلا وفعل مثل ذلك بمصر رغم كل ما وقع بين الطرفين من حروب لاعتبارهم أن الخلافات الوقتية والمطامع الشخصية لا تؤثر على أواصر القرابة والإخاء بين الشقيقين.

والغريب أن احترام المصريين لم يكن قاصراً على أرباب السودان بل تعداه إلى تقديس أشخاص بعض قبائل السودانيين كما أن السودانيين عبدوا بعض ملوك مصر لأنهم بتوغلهم في تلك الأرجاء نشروا بينهم العلم والمدينة وأخرجوهم من الظلمات إلى النور كما سنبينه فيما بعد.

جاء في ص٥٢٣ ٥٢٤ ج٢ من كتاب تاريخ السودان المصري لمؤلفه بودج العبارة الآتية:

(لقد ذكر العلامة ماسبيرو في الجزء السادس ص٤٣١ من مباحث الميتولوجي) أن صورة القزم الذي يدخل السرور والبشر على قلب الملك ممثلة في صورة المعبود "بس" الذي نبصر تماثيله على شكل قزم مفتول العضلات قوي البنية كبير الرأس عريض الوجه ملامحه تسر أحياناً وتنم

عن الفروسية وحب الحرب أحياناً أخرى، إن القزم فضلاً عن إدخاله السرور على قلب الملك كانت له أهمية أخرى ألا وهي قدومه من أرض الأرواح التي كانوا يعتقدون وجودها بين نهاية هذه الدنيا ودار الآخرة وبالقرب من جزيرة المسعودين الناجين (سكان الجنة) فالقزم العارف برقص الرب بس الذي كان يفرح به المعبودات كان قدماء فراعنة مصر يرون منتهى الشرف جعل أنفسهم مكانه لأنهم كانوا يرجون أن يتعلموا منه هذا الرقص الذي سيبسط الرب أوزوريس رب الميعاد الذي سيحاسبون بحضرته بعد مفارقتهم هذه الحياة الدنيا.

وقد أبان لنا إيرمان أن الملك بيبي الأول والملك مرنرع من فراعنة العائلة السادسة قد جعلا نفسيهما (كما أوضحت لنا نصوص الأهرامات) هما والقزم شيئاً واحداً حتى في البدن بغية جعل الأرباب الذين سيحملونها إلى محكمة أوزوريس يسرعون بنقلهما إلى حضرته لعلمهم بأنهما سيدخلان على قلبه السرور يرقصهما وكانا يطمعان أنه متى سر منهما يغفر لهما ذنوبهما ويصدر حكمه بإدخالهما جنة الأبرار، أن هذه النصوص كتبت قبل وصول قزم حرخوف إلى منفيس ومن المؤكد أن القزم الذي جلب إلى مصر على عهد الملك أسا (من العائلة الخامسة) لم يكن الأول من نوعه في القدوم إلى مصر في عهد العائلات".

ومن هذه الفقرة نعرف أن رقص الأقزام كان محبوباً لأوزوريس وبما أن عبادته بمصر كانت من قبل أزمنة التاريخ فلا شك في أن علاقة مصر ببلاد الأقزام ترجع إلى هذا العهد ولا عجب إذا سمعنا بريستيد عند

كلامه على حكام أسوان في كتابه تاريخ مصر يلقبهم بأنهم أول مكتشفي مجاهل إفريقيا، والآن أذكر للقارئ وصف بلاد الأقزام نقلاً عن أكبر كشاف إنجليزي عرفته إفريقيا وأعني به استانلي.

جاء في الجزء الثاني ص٩٢ وما يليها من كتابه المسمى (أظلم جهات إفريقيا) يوجد من الأقزام نوعان الباتو (ولعلها الباتو المذكورة في أهرامات بيبي – للمغرب) والوامباتي، والأولون رؤوسهم طويلة وكذلك وجوههم وعيونهم مستديرة حمراء اللون قناة أنوفهم رفيعة حتى أن عيونهم شديدة القرب من بعضها والقسم الثاني وجوههم مستديرة عيونهم كمقل الغزال بعيدة عن بعضها وجباههم عريضة، ثم سيماهم عن الصراحة وطيب القلب ولون بشرتهم في صفرة العاج والوامباتي يعيشون في القسم الشمالي منها وتمتد منطقتهم إلى غابات أواميا الواقعة على نهر سمليكي وشرق أيتوري، وهم أمهر صيادي إفريقيا).

ولقد أبان السير ويليام غارستين في تقريره بشأن حوضة أعالي النيل المطبوع بالقاهرة ص٦٥ أن نهر السمليكي يبدأ في النهاية الشمالية الغربية لبحيرة البرت أدوارد يعني درجة عرض صفر وثمان دقائق وثلاث ثواني جنوباً ويصب في البحيرة الجنوبية من بحيرة البرت نيانزا يعني خط عرض ١ وتسع دقائق ، ومن ذلك نعرف أن مواطن الأقزام عند منابع النيل وأرض أولئك الأقزام المقدسين سكان أراضي الأرواح، فقد جاء في كتاب فجر المدينة لماسبيرو في الفصل الخاص بالنيل السماوي خصوصاً في صحائف ١٦-٢١ أنهم كانوا يعتقدون أن النيل ينبع من السماء في خط الاستواء عند بحر خضم به جزائر

المسعودين يعني الجنة (لعل هذا هو منشأ ظن بعض الشيوخ القائلين أن النيل من الجنة وأن أراضي الأرواح واقعة عند منبعه، نعم أنه حاول جعل هذا البحر الخضم عند ملتقى النيل الأبيض ببحري الغزال والسوباط ، وقال إنه جف حتى لم يبق منه إلا بحيرة نو وافي مع احترامي العظيم لرأي هذا العلامةلا يمكنني قبوله إلا إذا فرضنا أن منطقة بلاد الأقزام انتقلت مع مرور الزمن إلى الجنوب حتى وصلت إلى مقرها الحالي إذ بخلاف ذلك لا يمكننا تطبيق اعتقاد قدماء المصريين على رأيه هذا..

والنتيجة أن قدماء المصريين كانوا على معرفة تامة بمنابع النيل وبسكان هذه المناطق النائية التي يظن الأوروبيون أنهم أول من ارتاد مجاهلها وكشف أسرارها ، واستشهد على صحة قولي هذا بفقرة من أقوال بودج ص٥٢٥ ج أول من كتابه المسمى تاريخ السودان المصري (أنه بالرغم من تلهف بيبي الأول لرؤية القزم الذي أحضره حرخوف معه من السودان فلا نتوهم أن الأقزام كانت غير معروفة بمصر ، لأننا قد عثرنا على مصنوعات من العاج بمقابر أبيدوس وهي من أقدم عهود الفراعنة ، وهذا يبرهن لنا على أن التجار المصريين لابد أنهم تماسوا معهم أثناء بيع تجارتهم بالجنوب، وقد ذكر لنا استانلي وغيره من السياح أن الأقزام أمهر السودانيين في القنص عامة وصيد الفيلة خاصة ولابد أن تجار قدماء المصريين كانوا يعرفون مميزاتهم الطبيعية وعقليتهم جيداً، وبما أن حرخوف سافر مئات الأميال إلى جنوب ملتقى النيلين الأبيض والأزرق فليس هناك من سبب يحول دون وصوله إلى مناطق الأقزام المعروفين بتجارة العاج والجلود وأنه استطاع إقناع أحدهم بالسفر معه

إلى مصر) أن هذه الشهادة من عالم إنجليزي يخدم المستعمرين أكبر دليل على أن المصريين جلسوا كل السودان وأنهم كانوا على خير صلاة ودية مع سكانه ويكفي أن بيبي كان يفضل رؤية قزم حرخوف على جميع جزية بلاد السودان لنعرف مقدار حب بل تقديس ملوك مصر لأولئك الأقزام السودانيين ، لأن رقصهم من أهم طقوس الدين التي يتقرب بها فرعون إلى ربه بل ويرجو الغفران ودخول دار النعيم بواسطته، ولكم اشتقت لمعرفة هذا الرقص وسر قدسيته فلم أعثر في كتب القدماء ومخطوطات المصريين على شيء حتى قرأت كتاب صديقي وزميلي الدكتور بوكمان المطبوع في هذا العام بواسطة المعهد الإفريقي بمونيخ ، فعلمت أن البوشمان والأقزام يقلدون في رقصتهم مشية الحيوانات المختلفة ويتقنون ذلك ، وأن لكل حيوان عندهم مشية خاصة تعتبر مقدسة ليهم حتى اليوم يتقربون إلى المعبودات بها عند ما يقوم الراقص منهم بتقليدها..

ومن ذلك عرفت سر شغف فراعنة مصر بتعلم هذه المشيات المقدسة لمختلف الحيوانات خصوصاً ما كان منها مقدساً لأوزوريس، وأدركت أهمية الدور الذي كان يقوم به فرعون مصر في المعبد إبان الحفلات الدينية بفضل أساتذته من أقزام السودان، فهل بعد القرابة العرقية والدينية والمعنوية والتاريخية وهل بعد أن يتمنى ملك مصر وعزيزها أن يكون هو والقزم سواء يستطيع إنسان إنكار أخوة الشعبيين الذي يمدها النيل بمائه ويحيي بلادهما بطميه إلا تكفي الحقيقة التي أبانها شاباس في كتابه مخطوطات مناجم الذهب المصرية المطبوع سنة

١٨٩٣ والتي أقرها جميع العلماء من أن المصري كان يتجه جنوباً إذا ما أراد تعيين الجهات فيصير الشرق على يساره والغرب على يمينه بخلاف جميع الأمم، أن هذه الحقيقة تثبت أنه كان يعتقد أن أصله من الجنوب وأن النيل منبع حياته في الجنوب وأن شقيقه السودان مفضل لديه عن كل الأقطار بل وعن معبوده الشمسي وسأذكر في مقالة آتية النشيد الديني المبين اعتقاد المصري منذ القدم بالنيل ثم أبدأ بذكر عمل الفراعنة بالسودان حتى يعرف كل إنسان العلائق التاريخية بين البلدين.

الفصل الثالث

النيل المقدس

"مصر هبة النيل "كما قال هيردوت، لا لأنه يرويها بمائه فيجعلها جنة زاهرة بين الصحاري القاحلة المحيطة بها ولا لأن أقدم سكانها هبطوا إليها من أعالي حياضه بل لأن تدبير شؤونه وإدارة مياهه وسياستها إبان الفيضان استلزم وجود حكومة مركزية قوية تسيطر على وادي النيل وتنظم أمور سكانه وتدعم أسس المدينة وعليه فالنيل هو موجد مصر ومدينتها ومصر معلمة الشعوب وأستاذة الأمم ومربية العالم ، فالنيل له الفضل الأكبر في انتشال البشر من البربرية ورفعها إلى أوج الإنسانية الكاملة والمدنية الراقية ، وقد قدسه المصريون قديماً وعبدوه كما يفعل إخوانهم اليوم سكان النيل الأزرق وكانت له معابد خاصة به وكهنة وكانت تقام لمقدم فيضانه سنوياً أعياداً فاخرة ، يعتقد القوم أن زيادة الفيضان ووفرة البركات وفيض الخيرات عليهم يكون بقدر إفراطهم في الحفاوة به.

وكان الملك فرعون مصر على رأس الكهنة يذبح القرابين ويقدمها للنيل ، ولا تزال حفلة قطع الخليج وعروس النيل باقية لنا من تلك الأعياد رغم اعتناق المصريين لديني النصرانية والإسلام ورغم كر العصور وتبدل الدول ومع هذا يحاول الإنجليز أن يحتكموا في النيل حياة مصر ويبيعونها مؤقتاً مياهه بمنهج أبناءها الجنود وملايين الجنيهات من عرق أولادها الفلاحين ويريدون فصل السودان، وبه منابع النيل عن مصر وما

مثلهم إلا كمن يريد فصل القلب وشرايين الحياة عن رأس إنسان ويزعم أنه يحافظ على حياته، إلا أن القطرين لأمة واحدة أبوهما النيل وليست هذه بعقيدة حديثة اخترعها ساسة مصر أو زعمائها الحاليون بل هي صوت الطبيعة هي لسان الأزلية هي الحق الصراح الخالد .

ويكفي أن نذكر الأنشودة الدينية التي كان أجدادنا القدماء يترنمون بها أبان عبادتهم للنيل في أعياده السنوية ليعرفوا أن مكانة النيل في قلب المصري قديماً وحديثاً هي لم تتبدل، ومن غريب التصادف أن نصوص هذه الأنشودة الدينية المصرية القديمة موجودة على ورق البردي بالمتحف البريطاني كحجة قائمة ضد اعتداء الإنجليز وكبرهان أزلي يسجل الظلم والعار على المستعمرين وكدفاع دائم قدمه الأجداد لمحكمة العدل الأزلي لإثبات أحقية مطالب المصريين اليوم أو وثيقة تثبت القرصنة الإنجليزية سجلت في قلب عاصمتها وإلى القارئ نص هذه الأنشودة ، نقلاً عن ترجمة العلامة ماسبيرو لها وفي كتابه تاريخ أمم الشرق القديمة الطبعة الرابعة ص١١-١٣ وفي كتابه فجر المدنية ص٤٠-٤٣) ونشره (FrCook) في كتابه (سجلات الماضي —القسم الأول الديني الجزء الأول ص٣٤١-٣٧١) وترجم بروكش باشا بعض فقراته إلى الألمانية في كتابه المسمى الدين والميتولوجي ص٦٣٩-٦٤١ ونشره غيرهم أيضاً وهذا نص الأنشودة.

(١) السلام والقدسية لك يا هابي (اسم النيل) يا من تظهر في البلاد وتأتي إليها لتمنح مصر الحياة –أنت يا من نخفي مجيئك في

الظلام حتى في اليوم الذي يحتفل بمقدمك وترتل الأناشيد فرحاً بك، إن أمواجك تنتشر في البساتين التي خلقها رع، لكي تحيي (تمنح الحياة) لكل عاطش أنت الذي تأبى أن تسقي الصحراء بفيضان مياهك السماية بمجرد هبوطك إلى البلاد نرى (Sibu) سيبو (آله الأرض) وقد أخرجت الخبز ونابري (Napri) رب الغلام يقدم قرابينه وبتاح (Ptah) يثري كل متفنن (يجعل كل صانع ومتفنن مسعوداً غنياً).

(معنى الفقرة الأخيرة المشبعة بالأساطير الدينية أن مياه النيل تحيي موات الأرض فتدر الرزق فالغلال تنمو وكل قوى تتجدد ويعم الرغد والفيض تحت إشراف بتاح رب الصنائع والهندسة –للمعرب).

(٢) يارب الأسماك، أن الطيور لا تنزل بالحقول بمجرد عبورك من الشلال –أنت خالق الحبوب (الحنطة) وصانع الشعير –أنت الذي تطيل بقاء المعابد، وإذا ما كفت يداك عن تعميرها أو انحبست عنا مياهه، فهنالك تعم الفاقة كل ملايين المخلوقات، ويا من إذا غاب (بقى) في السماء يفتك الموت يالآلهة وبجميع البشر.

(٣) وغدت الحيوانات مجنونة وكل من في الدنيا –من كبير وصغير يغدون في فاقة وحزن– أما إذا ما حدث خلاف ذلك بأن قبلت صلوات الناس وأدعيتهم عند مبدأ فيضانه وجعل نفسه من أجلهم خنومو (Khnumu) رب النيل المكون من الماء والطمي المخصب للبلاد –للمعرب) وفاضت مياهه هنالك تهتف الأرض فرحاً وتسر

كل البطون ، ويهتز كل ظهر بالضحك وتطحن كل من شهى الطعام).

(٤) يا جالب الطعام الوفير الغذاء، يا خالق كل شيء جميل –يا رب حبوب الحياة التي تروقك يا من إذا أسعدنا بصحبته أخرج الماشية الكلأ وضمن لجميع المعبودات القرابين الشهية أن أريج ريحك لأعطر من كل ما عداه يا من يستوي على القطرين فتمتلئ مخازن الحبوب وتسعد الأسواق ويغدق على الفقراء الخيرات والنعم.

(٥) أنك تلبي دعوة كل داع مانح كل شيء حامل السفن بقوته ومجربها برحمته لا تنحت الأجسام الصخرية لأجله ولا التماثيل التي تحمل تاج القطرين –أنه خفي لا تقدم له الجزية ولا القرابين، لا تؤثر على لبه الطلاسم والأحاجي مقامه غير معروف ولا يمكن للكتابات السحرية أن تكشف ضريحه.

(٦) ألا أنه لا يوجد بيت كبير يستوعبك، وليس لأحد من القوة ما يوصله إلى سويداء فؤادك: ومع هذا تفرح وتسعد بك كل الأجيال من أبنائك (يعني جميع سكان بلاد النيل قديماً وحديثاً –للمعرب) لأنك تحكم كملك تنفذ أوامره في جميع الورى وتظهر فيوض خيراته على جميع سكان الجنوب والشمال، أنت الذي تغسل بمياهك دموع كل عين وتغدق العطاء إذا ما منحت.

(٧) حيثما حللت تحمل المسرة وتتبدد الأحزان وترقص القلوب طرباً أن

(Sovoku) سوفكو والتمساح المقدس ابن (Nit) يثمل بالمسرة لأن المعبودات التعسة المزملة لك قد أمرت كل شيء بأن تفيض خيراته وأن تعم مياهك الحقول وتصير كل إنسان كريماً حتى أن الإنسان ليشرب من عمل جاره (حصة مياه جاره أبان المناوبات –للمعرب) دون أن يشكوه أو يرفع الدعوى عليه.

(٨) أنك لتدخل البلاد بين هزج الأناشيد وتغادرها بين الأفراح –أن كل الناس لترقص فرحاً بمقدمك من عالم الخفاء لأن تأخرك عنا هو الموت والفوضى– وعندما تقدم الأدعية مبتهلة إليك لتدر فيضانك السنوي تصطف أهالي طيبة وأهل الشمال جنباً إلى جنب رغم اختلاف الحرف والمقامات لا يتأخر أحدهم عن جاره (إشارة إلى توقف حياة الجميع على مياه النيل –للمعرب).

وكل الأغنياء لا يفكر أحدهم في ارتداء ملابس الأعياد بل ونفس أولاد توت (Thot) إله الثروة لا يتحلون بالجواهر بل ونفس المعبودات التسعة تشارك الجميع في ظلام الحزن والتعاسة حتى إذا ما استجبت الدعاء وبدأ فيضان مياهك تعطر كل إنسان وزالت الأكدار.

(٩) يا صانع الثروة الحقيقية التي تشتتها الناس هذه آيات دعائنا ودعانا نتقدم بها مبتهلين إليك علك تجيب الدعاء، إنك إذا ما نزل الناس بأمواج محيطك السماوي يقدم (نابري) رب الحبوب قرابينه –إن جميع الأرباب تبتهل إليك أن الطيور لم تعد تحط على قمم التلال،

أن يدك لتصنع ما هو أغلى من الذهب وألواح الفضة لأننا لا نأكل الفيروز بل القمح الذي هو ألزم للحياة من جميع الأحجار الكريمة.

(١٠) أنهم ليغنون لك على موسيقاهم وينشدون أدعيتهم على نقرانها مزملة بالتصفيق لأن الأجيال من أبنائك يفرحون بمقدمك وقد ملئوك بالتحيات والمدائح لأنك رب الثروة الذي يزين الأرض ويجعل السفن سعيدة ومباركة في نظر البشر والذي يشرح صدر المرأة بمنحها البنين ويبارك القطعان ويزيد نتاجها.

(١١) أنت لذي إذا ما فاض في مدينة الأمير يقنع الغني ويجيي الفقير البشنين ويصبح كل شيء متيناً وحسناً ويصير الكلأ والنباتات المختلفة أنواعه لأولادك، أما إذا ما نسي أن يمنح الطعام فتهجر السعادة المنازل وتنقلب الحقول إلى صحاري قاحلة قتالة) فالنيل هو حياة مصر قديماً وحديثاً وسيبقى كذلك إلى يوم الدين رغم أنف المستعمرين الغاصبين.

الفصل الرابع

القرابة العرقية وعلم مقارنة العادات

من المعلوم أن مقارنة عظام العناصر المختلفة من أهم وسائط تعيين قرابتها العرقية ولكن مؤخرا أصبحت مقارنة العادات أكبر دعامة في معرفة الروابط العنصرية، ويكفي أن المجمع للعلمي الإفريقي بألمانيا كل مباحثه مبنية على هذا الأساس، ولذا أقارن بين عادات القبائل السودانية المختلفة وبين سكان مصر قديماً وحديثاً حتى يرى القارئ أن وحدة الشعبين لاشك فيها وإنها تزداد قوة ومتانة كلما زدناها بحثاً وتدقيقاً من جهات مختلفة، وأشير إلى ما قاله فليندر بيتري أعظم إنجليزي متخصص في تاريخ مصر في إفريقيا، في نقاط موجزة:

(١) تحنيط الموتى بمصر معروف وهذه العادة موجودة لدى قبائل (Babenda) وفقا ل (Werner) في كتابه الأهالي المحلية بمركز إفريقيا البريطانية وعند قبائل النيجر على ما ذكره ليونارد في كتابه عن قبائل النيجر.

(٢) دفن الموتى الكعكي كان موجوداً بمصر وجنوب أوروبا ولا يزال موجوداً بكل إفريقيا من شرقها للغرب خصوصاً لدى قبيلة (Yaos) كتاب(Werner)، وقد أثبت فروبينيوس في كتابه صوت من أواسط إفريقيا وجود ذلك في بلاد النيجر وقال بأن وجه الميت في قبره

ينظر إلى جهة الغرب وهذه العادة موجودة لدى قبائل الجاللا (Galla) في شرق إفريقيا أما عندك الشلوك والشيش والدنكة فتوسدت الميت على جنبه الأيمن وتوضع رأس الميت على يده اليمنى إن كان رجلاً واليد اليسرى إن كانت امرأة وكذلك لدى مملكتي (Unoro & Ankole) بينما عشيرة الباهمة تدفن ملوكها في أكوام السباخ وبقية الخلق تدفن أمام أبواب عششهم.

وقال بيتري إن هذه الصورة من الدفن كانت موجودة بمصر في أزمنة قبل التاريخ وكانت رأس الميت توضع صوب الجنوب بشرط أن ينظر الوجه غرباً.

(٣) ذكر فروبينيوس أن قبائل غرب السودان كانت تقطع رأس الميت وتحفظها لديها تخليداً لذكراه، وقد لاحظ بيتري أنه قد وجدت بمقابر نجاده بمصر جثثا على هذه الصورة .

(٤) ذكر (Werner) في كتابه أن بعض قبائل السودان تضع قصبة في قبر المتوفي بالجدري حتى يتخلص جسد الميت من مرضه، وقال بيتري أن مثل هذه القصبات وجدت في مقابر لم يكن أحد قد مسها وهي من عهد الأسرة الأولى وظن أنه كان يقصد بها في مصر مرور الروح منها وفي مقابر دشاشة وجدت ثقوب رفيعة منقوبة في الصخور من المقبرة إلى مكان تقديم القرابين ووجد المستر (Quibell) مثل ذلك في مقابر سقارة.

(٥) جاء في كتاب (Werner) أن عند دقن شيخ (Kapeni) بعد وضعه في القبر نزل أحد أصدقائه إلى جانب الجثة ورمى سهماً في كبد السماء وقال بيتري أن هذه العادة كانت بمصر في أول التاريخ حيث كان يعتقد المصريون أن أرواح الملوك ترتقي إلى السماء على ريشة نعامة كان يقذف بها من القبر في الهواء.

(٦) أن المراسم الدينية التي يقوم بها التربي بين قبائل (Atonga) على ما ذكره (Werner) في كتابه تشبه تماماً ما كان يقوم به الكاهن المصري الذي كان يترك الميت بعد دفنه في حراسة المعبود (Anubis) الذي كان على صورة ابن آوي والقبائل السودانية تسمى الكاهن المذكور الضبع لعدم خوفه من الموتى.

(٧) جاء في كتاب (Werner) أن الميت يدفن في الغرفة التي توفي بها بأن يحفر له نفق في الأرض بآخره غرفة توضع الجثة بها وفي ص١٧٥ من الكتاب المذكور يقول أن أفراد قبيلة (Yaos) عدا حفرهم النفق المذكور يوسدون الميت متجهاً للشرق بينما الغرفة تكون دائماً في غرب نهاية النفق، وقد لاحظ بيتري أن هذا الطراز من الدفن كان بمصر قبيل أزمنة العائلات المالكة ، وأن النفق زيد عمقه على عهد العائلة الأولى ومنذ عهد العائلة الثالثة صار النفق أعمق بكثير وحفرة غرفة الدفن أرحب كالغرف المعروفة بالمقابر المصرية.

(٨) ذكر (Werner) في كتابه أن بعض قبائل السودان تقيم حول القبر

عدة أعمدة منها عامودين بنهايتها العليا شكل زاوية يعلق عليها حبال تحمل جثة الميت عند إنزاله إلى القبر ثم تضع أعمدة أفقية تحته حتى لا تمس الجثة قاع القبر وذلك لحماية الميت من شر السحرة ولاحظ بيتري أن هذا النوع من الدفن وجد في مقابر (Tarkhan) بمصر وذكر ويرنر أيضاً أنه لاحظ في المقابر في (Blonty) مستديرة ومغطاة بطبقة من البناء كأنها أحواض من حدائق أكثر منها قبور وقال بيتري أن بين مقابر ترخان (Tarkhan) ما هو من هذا النوع يعني قبوراً مستديرة لها قباب واطية من الجبس والرمل أو الآجر.

(٩) وذكر فروبينيوس في ص١٩٢٠ في كتابه أنه صادف المقابر وهي عبارة عن حفر عميقة عليها قباب مخروطية الشكل وكان عمق القبر في الأرض أربعة عشرة قدماً ولما نزل إليه وجد به طرقاً مختلفة طول الواحد خمسة ياردات ونصف وعند نهايتها أعلى وأعرض وهي منحوتة في صخور الأحجار النارية وهذه المقابر موجودة في (Nupeland) وكانت المقابر بها قديماً ضخمة على شكل تلال ولكنها أهملت فاندسرت بيد أن بعضها ولا يزال موجوداً منها عدد في (Kaba Bunu) ينزل إليها الإنسان للتفرج عليها وفي (Mokwa) وجد في نهاية هذه المقابر كهوفاً للدفن بها وقال بيتري أن هذا النوع من المقابر يشرح لنا سر بناء مصطبة (Zeser) في سقارة وفي ص١٢١ من مجلة مصر القديمة لاحظ بيتري أن المقابر ذات النفق المائلة التي قال فروبينيوس أن الإنسان يراها من بعد

كتلال حمراء في جنوب السنغال وشمال بلاد الحوصه (ص٢١٥ من كتابه) شبيهة بالأهرامات خصوصاً أهرام خوفو وببلاد النيجر منها الكثير وزاد بيتري على ما تقدم أن هذه المقابر لا تختلف في شيء عن مقابر ملوك مصر قديماً قبل بناء الأهرامات.

(١) جاء في ص١٦٥ من كتاب ورنر أن الموتى في السودان قد تدفن بمنازلها بأن يحفر نفق في أرض الحجرة التي توفي فيها الميت وتحفر في آخر النفق غرفة صغيرة لدفن الميت، وقال أيضاً في ص١٧٥ أن قبيلة ياوس تحفر النفق السالف الذكر ويوسدون الميت متجهاً للشرق ، وأما الغرفة فتحفر دائماً في الجهة الغربية وقد لاحظ بيتري أن هذا الطراز من الدفن وجد بمصر في أزمنة قبل التاريخ وأن النفق صار تعميقه في عهد العائلة الأولى عن ذي قبل ومنذ عهد العائلة الثالثة الملوكية بمصر صار النفق أعمق والغرفة أوسع وأكبر.

(٢) وذكر (Werner) أن بعض قبائل السودان تغرز على القبور عدة أعمدة من بينهما عمودان بنهاية كل منهما زاوية يعلق عليها حبال تحمل جثة الميت وقت إنزاله إلى القبر، ثم تضع عمد أفقية تحته وقال أن سبب هذه التدابير هو السعي في صيانة الميت من شر السحرة ، ولاحظ بيتري أن هذا النوع من الدفن وجد في مقابر تارخان (Tarkhan) بمصر.

(٣) ذكر (Werner)أنه لاحظ المقابر في (Blantyre) فإذا بها مستديرة ومغطاة بطبقة من البناء كأنها أحواض حديقة أكثر مما هي مقابر،

وقد لاحظ بيتري أن من بين قبور تارخان بمصر ما هو شبيهه بها يعني قبوراً مستديرة لها قباب واطئة من السمنت والرمل أو الآجر ، وذكر فروبينيوس ص٢٠ –١٩ من كتابه أنه وجد في المقابر حفراً عميقة عليها قباب مخروطية الشكل وعمق القبر ١٤ قدماً ، ولما نزل به وجد بالمقابر طرقات مختلفة طول كل سرداب منها ٥,٥ ياردة وعند نهايته يزداد ارتفاعه وهذه المقابر منقورة في صخور من أحجار نارية وموجودة في (Nupeland) وكانت المقابر قديماً ضخمة على شكل تلال ، ولكنها أهملت وبادت ولا تزال مقابر منها في (كابابونو) ينزل إليها لرؤيتها وفي موكوا وجدت كهوف مستعملة كمقابر وقد لاحظ بيتري أن هذه المقابر تبين لنا سر بناء مصطبة زيزر بسقارة.

(٤) وذكر فروبينيوس في ص٢٥ –٢١ من كتابه أن المقابر ذات الأنفاق المائلة التي يحسبها الناظر تلالاً حمراء وموجودة ببلاد النيجر وفي جنوب السنغال وشمال الحوصه (Houssa)، وقد لاحظ بيتري أن هذا النوع من المقابر أشبه الأشياء بالأهرامات وأن الأنفاق المائلة موجودة بالأهرامات خصوصاً بأهرام خوفو وأن شكل المقابر المذكورة لا يختلف قط عن مقابر ملوك مصر قبل بناء الأهرامات.

(٥) وجاء في ص٥٣ –٥٤ في كتاب ورنر المذكور أن قبائل السودان تقدم قرابين من الجعة أو (البوزة) في أزيار من فخار توضع على أحجار عند قاعدة شجرة مقدسة وفي بعض الأحيان توضع سلة

مملوؤة بالدقيق على جذر الشجرة، وقد لاحظ بيتري أن الجعة كانت من أهم القرابين عند قدماء المصريين وأن أزيارها وأوانيها كثيراً ما ترسم مع القرابين والدقيق كان العامل المهم في القرابين المصرية حتى أن الأناء المملوء بالدقيق الذي كان يوضع على حصيرة صار رسمه في اللغة المقدسة (الهيروغليفية) يقرأ (Hetep) يعني قربان ومنه اشتق يرضى أو يصالح لأن الغاية من تقديم القاربين الحصول على رضاء المعبود.

(٦) وجاء في كتاب (Werner)أن القبائل السودانية قد تقدم قرابين من القماش وجاء في كتاب ليونارد أنه عندما يتنبأ الكاهن ويصدق حدسه يقدم الملك قرباناً من القماش وإذا أراد الكاهن الاستفسار من معبوده عن أمر قدم إليه قرباناً من القماش، ولاحظ بيتري أن تقديم الكتان الأبيض كان يلي عند قدماء المصريين قربان الدقيق في القيمة ، ولذا ذكر بين القرابين المسطورة سجلاتها في الدير البحري وأبيدوس.

(٧) جاء في كتاب ليونارد أنه فضلاً عن القرابين الحيوانية أو الإنسانية يدفن بالسودان مع الميت بعض أشيائه الخصوصية كالحراب وأدوات الزينة وتماثيل من الخشب أو الطين وجاء في كتاب ورنر ص١٥٩ العبارة الآتية: وتوضع مع جثة الميت كل أدواته الخصوصية قبل أن يهال التراب عليه وذكر فروبينيوس أنه وجد داخل المقابر السالفة الذكر أربع شمعدانات في كل من الجهات

الأربع للقبر الواحد منها وكانت تضاء عند وضع الملك بقبره وكان بالقبر قناة تبدأ من النقطة التي كان بها رأس الميت (الملك) عند وفاته وتمتد إلى قرب سقف قبره وبها توضع جميع أشيائه الخصوصية .. إلخ، بغية إدخال المسرة على قلبه وقد لاحظ بيتري أن هذا يطابق حرفياً ما كان يعمل بمصر ، وقال أن وجود غرف خصوصية كالتي ذكر فروبينيوس للمأكولات وغيرها للزيارة كانت موجودة بمصر وضرب لذلك مثلاً بمقابر أبيدوس الملوكية.

(٨) ذكر (Werner) أنه بالقرب من بلانتيو بعد وضع العصى وجميع أدوات الميت الخصوصية بالقبر تهشم ثم يغلق القبر، وقد لاحظ بيتري أنه كثيراً ما نجد قرابين مهشمة في مقابر مصرية محفوظة على عمق كبير لم تصل إليها أيدي اللصوص أو العابثين وهذه العادة السودانية تشرح لنا سبب ذلك التهشيم الذي طالما حار العلماء قديماً في تعليل حدوثه.

(٩) ذكر فروبينيوس أن بعض القبائل السودانية تشيد غرفاً للقرابين فوق المقابر وقد لاحظ بيتريأنها شبيهة بصومعة القبور الملوكية بمصر وكذلك امتداد مجرى من هذه الغرف إلى القبور التي وصفها فروبينيوس أكد بيتري وجوده بالمقابر المصرية وضرب لذلك مثلاً بأهرام خوفو.

(١٠) ذكر فروبينيوس بكتابه ص٢٤ أنه من المتبع بالسودان الغربي أنه عند وفاة السيد يؤتى بأسراه ويذبحون على قبره كقرابين وذكر ورنر

في مقالة المسائل الحامية بالسودان المصري ص٨٨ أنه عند ما يموت الملك يقذف بكثير من زوجاته في قبره أحياء، وقد لاحظ بيتري وجود ذلك بمقبرة الملك قا (Qa) في أبيددوس حيث قتلت كل خدمه على قبره كما أن عادة ذبح البشر كقرابين رجعت إلى مصر في عهد العائلة الثامنة عشر الملوكية.

(١١) جاء في كتاب ليونارد أن أكبر الأولاد مقدس في العائلة باعتباره كاهنها وفي ص٤ –١٦٣ من نفس الكتاب أن أكبر أولاد المتوفى أو ولي عهده هو الذي يتولى المراسم الدينية في جنازة والده بينما بقية إخوانه يرتدون ملابس الكهنة ويشاركونه في المراسم وذكر في ص٣٩٥ أو الولد الأكبر يعتبر ممثلاً للعائلة جسمانياً والأب ممثلها الروحاني ويكون أثناء حياة والده الأكبر مقدساً باعتباره كاهن العائلة وهو الذي يقدم القرابين ويذبحها خصوصاً في جنازة والده ، وقد لاحظ بيتري أو الولد الكبر كان بمصر كاهن العائلة وكانت إخوته تعاونه في ذبحه الثور على قبر والده، ولكنه هو الوحيد الذي له حق ذبحه وضرب بذلك مثلاً برسوم مقابر الدشاشة.

(١٢) جاء في كتاب كتاب ليونارد العبارة الآتية: إن أولاد الميت يرتدون ثياب الكهنة ويدهنون وجوههم بالكلس المقدس ويلبسون قبعات عالية من القش من المصنوعات المحلية ويربطون في وسطهم زنانير من البفتة ويسيرون إلى مكان الجثة وهنالك يقومون بتمثيل حرب صورية يسمح فيها بأخذ التمثال الملطخ بدم الضحايا ثم يقام

احتفال فخم لنقله إلى المكان المعد لحفظه فيه، وجاء في ص٤ – ١٨٢ من الكتاب المذكور أن في أبيبو (Abibio) تقام مبان ضخمة للميت منها غرفتان صغيرتان من الطين بأباهما من الخشب توصدان دائماً بغية تخصيصهما لروح الميت ستعملهما كيف شاءت وأما أرو (Aro) فيدفنون ملوكهم في أماكن ضخمة وتوضع قرابين من طعام وعقاقير طبية في نقرتين دائماً محفورتين في مقدمة الكوم المقام على القبر، وقد لاحظ بيتري أن ذلك يطابق الحفرتين الموجودتين في كل مذبح أو مكان القرابين بالمعابد المصرية وأن استعمال القبعات القش الطويلة كان شائعاً بمصر وضرب لذلك مثلاً بالصورة التاسعة المرسومة على حائط معبد رمسيس الثاني وكذلك كل الطقوس الأخرى صورة طبق الأصل مما كان مستعملاً لدى قدماء المصريين حتى قال في ص١٢٧ من المجلة المذكورة أن خير وسيلة لمعرفة حقائق الطقوس الدينية لقدماء المصريين هي تدقيقنا ودرسنا المراسم الإفريقية (السودانية) الحالية:

(١٣) ذكر ورنر في ص٥٠ –٤٧ من مقالته أن القبائل السودانية تقيم عششا للأرواح تقدم فيها القرابين وقد ذكر بيتري أن هذه العشش أو بيوت الأرواح كانت عمومية بمصر في عهد العائلات التاسعة والعاشرة والحادية عشر الملوكية.

(١٤) وذكر (Werner)أن القرابين يقدمها للمعبود شيخ القرية بالنيابة عن الأهالي ولاحظ بيتري أن الملك بمصر كان يفعل ذلك حتى أن

عبارة (نسوت دي هتب Nesut de Hetep) التي معناها عسى أن الملك يقدم قرباناً للموتى.

(١٥) من عادات الشلوك وعقائدهم الدينية أن الملك لا يصح أن يهرم أو يمرض لئلا يقل نتاج الماشية وتفسد الحاصلات وتمرض الرعية وتفتك بها الأوبئة، ولذلك يجب على ابنه في كلتا الحالتين أن يقتله ويخلفه في الحكم (راجع مقالة دين نياكانج للدتور سيليجمان ص٢ -٢٢١) وكل رئيس كبير من الدنكة يقتل بناءاً على طلبه في احتفال مهيب حتى لا تدركه الشيخوخة وكذلك في واوانج (Wawang) يقتلون ملوكهم وتوجد في بانيورو عادة قتل الملوك إذ بمجرد أن يمرض الملك ويشعر باقتراب منيته تزوره زوجته فيطلب منها كأساً معلومة يشربها فيموت (راجع مقالة مسائل الحاميين بالسودان المصري) وذكر فرونينيوس ص٧ -٥٦ إن هذه العادة موجودة ببلاد النيجر إذ أن الملك بعد أن يحكم سنتين بأمره الرؤساء بالانتحار فإن امتنع أنفذوا الأمر فيه بقتله باحتفال مهيب تعباً لعقائدهم الدينية القديمة، وقد كانت هذه العادة موجودة بين الأثيوبيين (الأطيوبيين سكان بلاد النوبة والحبشة) وقد ذكرها (Sician, Diodorus, Plmy) وأكدوا أن وجودها إنما هو للأسباب السالفة الذكر بين الشلوك (فرونينيوس ص٦٧٦) وقد لاحظ بيتري أن من أكبر الأعياد المصرية عيد سد (Sed) وضع نهاية لحياة الملك الأرضية واعتباره كأنه قد امتزج بأوزوريس ولاشك أن هذه العادة أصلها العادة الإفريقية السالفة الذكر ولكنهم بمصر

كانوا يكتفون بأن يعين الملك خلفه الذي يتزوج بابنته ثم يتركون الملك يعيش إلى آخر أيامه حتى يموت موتاً طبيعياً يعني أن رقي المدارك المدنية بمصر أدى إلى تعديل هذه العادات.

(١٦) ذكر ليونارد أن من عادات قبائل إفيك والابيبيو وقد لاحظ بيتري أن هذه العادات تشرح لنا الفقرة الموجودة في حكاية ساني كات الذي يذكر وفاة فرعون بقوله أن باشقا طار إلى السماء.

(١٧) ذكر سيليجمان أن قبائل باهمة وبانيورو وباجاندا كلها طوطمية العقيدة لا يصح التزاوج بين أفراد القبيلة الواحدة منها، بيد أن ملوك باهة يتزوجون بشقيقاتهم ويصح ذلك أيضاً لأمراء البانيورو وإذ القاعدة تحتم أن يعيش الأمراء والأميرات معاً والباجاندا يحتفل أفرادها احتفالاً دينياً مهيباً بتزويج الملك بشقيقته رغم شدة تمسكهم بقواعد الطوطمة الدينية ومن ذلك نعرف أن التزوج بالشقيقات كان متفشياً أو عاماً بين الحاميين، وقد لاحظ بيتري أن الاقتران بالشقيقة والأخت بين ملوك مصر كان عمومياً وقديماً حتى أن زوجة الملك على الإطلاق كانت تسمى أخته وفي أثيوبيا كانت العائلات الملوكية حق الوراثة لديها في البنات فقط وكن يتزوجن بأشقائهن، وقد صارت هذه العادة فيما بعد كطقس ديني بين ملوك البطالسة بمصر.

(١٨) عند قبائل باجاندا عندما يولد أمير يقطع الحبل السري ويوضع في إناء مخصوص ويختم ويوضع في قماش باحتفال ويزين بالخرز

ويسمى التوأم ويوضع في معبد مخصوص به ، وعند ظهور كل هلال يحملونه باحتفال مهيب ويطوفون به ويعتبرانه كشخص حي، وبعد وفاة الملك يوضع فكه الأسفل مع الحبل السري فيصير الملك موجوداً في هذا المعبد لأنهم يعتقدون أن الروح المتقمصة للحبل السري والروح المتقمصة لجسم الملك قد اجتمعا مع فكه وكونتا معبوداً كاملاً (راجع ص٩٨ من مقالة المسائل الحامية) وجاء في ص٨ –٦٦ من نفس المقالة أن هذه الحرمة للحبل السري موجودة أيضاً لدى الدنكة والشلوك والباهمة وكثيراً من قبائل السودان وصحارى النيل، ولاحظ سيليجمان أن العلم الذي كان يحمل أمام الملك قديماً بمصر كان يسمى أحشاء الملك أو المولود الملوكي وهو عبارة عن نفس الحبل السري، وقد لاحظ بيتري أن وجود مقبرتين للملك الواحد عند الباجاندا يشرح لنا معضلة مهمة في التاريخ المصري إذ طالما وجدنا هرمين لنفس الملك الواحد أو هرماً بجهة وقبراً بجهة أخرى، قد يتصور البعض استحالة بناء أهرام لأجل الحبل السري ولكن وجود الأهراميين لا يمكن شرحه قط بأي صورة معقولة سوى بقبولنا هذه الحقيقة المشاهدة بإفريقيا والسودان اليوم.

(١٩) جاء في ص٢١٧ من كتاب دين نياكانج لمؤلفه سيليجمان أن العادة عند هذه القبائل تقضي بقتل كل من يتجرأ على قتل فهد أو زرافة أو وحيد القرن) الانتيلوب واسمه بالسودان مثله بالنرجييك والملك وحده هو الذي يصح له لبس جلد وحيد القرن بينما ولي عهده وكبار أمراء الأسرة المالكة وكبار الرؤساء يصح لهم لبس

جلود الفهود، وقد لاحظ بيتري أن الصور المصرية القديمة ترينا ولي عهد مصر وأبناء الفراعنة مرتدين جلود الفهود وصار في الأزمنة الخيرة من الشارات المميزة للأنبياء (كل رئيس كهنة بمصر كان يلقب بنبي) لأن الواحد منهم كان ينوب عن الملك في الزعامة الدينية.

(٢٠) جاء في ص١٥٦ من كتاب "من وراء عقل الزنجي" لمؤلفه (R.E. Dennett) (المطبوع سنة ١٩٠٦) أن ذيل الثور ويسمى ببلاد الكونغو (Manso) هو رمز الملوكية والشارة التي تحتم على الجميع الطاعة خصوصاً عند قبائل (Bavili) وقد لاحظ بيتري أن ملوك مصر من أزمنة قبل التاريخ إلى آخر عهودهم كانوا يعلقون في أحزمتهم ذيل ثور وربما كان هذا سبب تلقيب المصريين لفرعون (بالثور القوي).

(٢١) جاء في نفس الكتاب أن البوليس يحملون رسم الفك الأعلى من سمك القرش (Sawfish) علامة على أنهم (Budungu) يعني شرطة ملوكي يجب لها الطاعة وهذا الفك يحفظ في (Xibita– الكرم المقدس) وقد لاحظ بيتري أن رسم هذا الفك موجود مرتين على تمثال المعبود (Man) الضخم بقفط.

(٢٢) ذكر ليونارد في ص١٨٤٦ من كتابه أن أكثر القبائل السودانية عقائدها الدينية تنص على أبدية الحياة وأن الموت ما هو إلا خطوة انتقال بين عالم الدنيا وعالم الأرواح والأخير في عرفهم يشبه الدنيا

في كل شيء حتى إن كل إنسان يتعاطى صفته الدنيوية في الآخرة وقد لاحظ بيتري أن ذلك صورة طبق الأصل من العقيدة المصرية التي شرحها في ص٨ -٢٦ من مجلد مجلته المذكورة (٢٣) جاء في ص١٨١ من كتاب المسائل الحامية لمؤلفه ليونارد أن السودانيين يعتقدون أن لكل شيء روحاً خاصة به، وقد لاحظ بيتري أن ذلك صورة طبق الأصل من عقيدة قدماء المصريين القائلة بأن لكل شيء روحاً واسما خاصاً به.

(٢٤) جاء في مقالة دنكة (Dinka) من دائرة معارف الأديان أن روح المتوفى تسمى جوك (Jok) وأن هذا التعبير يطلقونه خاصة على أرواح الأجداد العظام ويعتقدون أن أرواح الأسلاف إذا أهملت وتركت قد تصيب العائلة بالمصائب والأمراض ، فإنها رغم ذلك دائماً تعتبر الحامية الحارسة لها، بل وللعشيرة والشعب وذكر ليونارد ص١٩٠ من كتاب المسائل الحامية أن القوم يعتقدون أن كل نفس عليها حارس من أرواح أقاربها أو أصدقائها الذين انتقلوا إلى عالم الأرواح ولكل إنسان روح ترشده إلى طريق الصواب في الغالب روح والده (لاحظ بيتري أن هذه العقيدة قد شرحت لنا حقيقة (Ka) عند قدماء المصريين وهي التي طالما ضل في فهم حقيقتها وإدراك ماهيتها وتعليل عقيدتها العلماء المشتغلين بالتاريخ المصري.

(٢٥) جاء في ص٢٤٧ من كتاب "دين نياكانج"أن لدى القوم عدة حكايات مأثورة يسمونها الطرق أو السبل ، وهذه الحكايات يتعلمها

الإنسان من الكاهن وقد لاحظ بيتري أن عند نهاية عهد العائلات الأولى بمصر كان هنالك ١٦ أنشودة دينية باسم السبل أو الطرق كالموجود على تابوت (Beb) في دندرة (٢٦) أن أكثر عشائر الدنكة يعتقدون أن جدهم الأعلى رجل كان له توأم حيوان هو طوطم العشائر المذكورة (راجع مادة دنكة بدائرة معارف الأديان) وقد لاحظ بيتري أن هذه العقيدة كانت أيضًا بمصر وضرب لذلك مثلاً (Chu) شو الإنسان و(Horus) وهوروس الإنسان وست (Set) الحيوان

(٢٧) أن معبودات السودانيين التي على شكل كبش تسمى (Ara) أرا و(Ara Dunga) أرا دونجا وهذه الأسماء تطلق على الزوبعة والصاعقة لأن الخلق تعتقد أن العاصفة من صنع كبش ولكن في بلاد الهوسا (Houssa) والبينو (Benue) الواقعة في شرق بلاد النيجر قد طرأ على هذه العقيدة بعض التعديل بأن صار إله الزوبعة إله الشمس أيضًا (فروبينيوس ص ٢٢١– ٢١٩) وقد وجد الأستاذ فلامند (Flam mand) في جنوب (Oran) بالجزائر صورة كبش له قلائد وعلى رأسه قرص الشمس أشعة تشبه (Ureaeus Serpent) ثعبان الشمس ذو الأجنحة عند قدماء المصريين (فروبينيوس ص ٢٢٥) وقد لاحظ بيتري أن الكبش كان الحيوان المقدس للمعبود آمون بطيبة وقد بقى ذكره في التاريخ بالقرنين اللذين وضعهما إسكندر الكبير على رأسه إشارة على أنه من نسل آمون فصار يلقب بذي القرنين وكان الكبش معبود الأثيوبيين وطالما وجد في رسومات

العائلة ٢٥ فرعونية وكان في مدينة (Mendis) منديس بالدلتا معبد لأجل (Ba) وهو على صورة كبش الذي مزج مع أوزيريس ويرجع عهد عبادته إلى أزمنة قبل التاريخ

(٢٨) أن الثور لا الكبش هو أكبر معبودات الهوسا وكل القبائل الواقعة في شرقها ورب الأرباب في عرفهم هو الثور وله زوجة اسمها رع (Ra) واسم الثور نفسه مايكافو (Maikaffo) وعليه تعتبر رع أو رعنة (Rana) سيدة الشمس غابت في البحر القديم في صندوق حجري ومعها كبش أبيض ولم يستطع أحد أن يعيد طلوع الشمس ولكن رع سيدة الشمس فعلت ذلك ورفعتها هي والكبش إلى السماء الدنيا (فروبينيوس ص ٢٢٢) وقد لاحظ بيتري أن المعبودات التي بمصر على شكل ثيران مشهورة من أرمنت حتى الدلتا ولم يعجب من تصادف اسم رع بالجهتين عجبه من نفس الفكرة والعقيدة وقال أنه ليس من المستبعد أن هذه العقيدة سرت من مصر إلى النيجر لأنه يعتقد أن منشأ هذه العبادة من الشرق.

(٢٩) جاء في مادة دينكة بدائرة معارف الأديان أن القوم يرجعون بنسبهم إلى بعض الحيوانات ويجعلونها مقدسة وهذا ضرب من الطوطمة التي هي عبارة عن احترام بعض الحيوانات بعدم ذبحها وإذا قويت قبيلة معينة أرغمت جيرانها على احترام طوطمها وتقديسه حتى تطمس معالم تعدد الطوطمة وقد لاحظ بيتري أن هذا يفسر لنا رموز المقاطعات المختلفة بمصر القديمة والحروب التي طالما

شجرت بينها وسبب تقديس كل مقاطعة لحيوانات معينة.

(٣٠) يقول لنا ورنر ص ٣– ٦١ أن كل قرية بالسودان لها شجرة مقدسة تقدم عندها القرابين وهي في الغالب جميزة (Sycamora) التي قال لنا عنها (Levingstour) أنها شجرة مقدسة بجميع بلاد الشرق خصوصًا بأفريقية والهند وقد علمت من (M. Augustrslar) أنها موجودة ومقدسة بكل قرية بالسينغال وغينيا الفرنسية واحترامهم لها كمعبودة وقد لاحظ بيتري أن ذلك يطابق صورة الجميزة التي وقعت عليها ربة قدماء المصريين حتحور تقدم الأكل والشرب للمتعبدين الذين وضعوا قرابينهم عند جذرها وكلن لقب حتحور دائمًا سيدة الجميزة وفي حكاية من عهد العائلة الثانية عشر الفرعونية يلقب بطل الرواية بابن الجميزة وهذا يدل على تأليهها عند قدماء المصريين أيضًا.

(٣١) جاء في مادة دينكة بدائرة معارف الأديان أن بعض العشار تذبح معزة قربانًا لروح أسلافها استمدادًا لمعونتها في صيدها لفرس البحر وعشيرة تين (Tain) من الدينكة تذبح معزًا أو خروفًا أحمر قربانًا لأن حصان البحر أحمر وقد لاحظ بيتري أن اللون الأحمر كان خاصًا بالمعبود ست (Set) وكذلك كان فرس البحر خاصًا بست حتى أنه كان يوجد في معبد ست بنوبت (Nubt) علم مرسوم فيه فرس البحر وكان يرفع ويطاف به بالمعبد في الاحتفالات الدينية وأعياد ست وكل القرابين ذات اللون الأحمر كانت تذبح أست.

(٣٢) جاء في مقالة الدينكة المذكورة ومن العادات الأخرى أنهم يأخذون جزع شجرة يدفنون جزءًا منه بالأرض ويقلمون أكثر مدينة فروعه الصغيرة ثم تعلق بالباقي قرون المعز المذبوحة كقرابين مع جزء من عمودها الفقري بينما جمجمتها توضع على عمود يقام أمام باب المعبد وعند ذبح قرابين الثيران نرى العظام بينما القرون توضع على عمود ينصب أمام المعبد وقد لاحظ بيتري أن أول أثر لمعبد وجدنا بمقابر المغيرين على مصر بعد عهد العائلة الثانية عشرة الفرعونية مئات المقابر وآلافًا من الجماجم وقرون الماعز والثيران قد زينت باللون الأحمر وركبت على أعمدة سوداء بنية تركيزها أمام المعبد.

(٣٣) جاء في ص ٢٥٠ و ٢٥٢ من كتاب "دين ينا كانج" أن الخلق يتفاءلون بالميسر ورمي السهام المخصوصة أو قطع خشب عليها علامات من المعدن أو قسم من قشر جوز الهند وقد لاحظ بيتري أن ذلك كان موجودًا بمصر واستدل على ذلك بشقفات الأردواز التي وجدت في مقابر نفادة أو نجادة بل وبالطلع والبخت بمصر في الوقت الحاضر.

(٣٤) الفخار الحديث الموجود في جنوب بلاد الجزائر يطابق في لونه وصوره وأشكاله الهندسية فخار مصر قبل أزمنة التاريخ ، لهذا يعتبره العلماء بأنه من بقية صنع الفخار المصري الأحمر وقد بين ورنر ص ٢٠٥ من كتابه كيفية صنع الفخار الأسود بالسودان ، وقد لاحظ بيتري أن ذلك يطابق كيفية صنعه بمصر قبل أزمنة التاريخ في كل شيء.

(٣٥) ذكر ورنر ص ٨- ١١٧ من كتابه أن السائح كثيرًا ما يصادف الأطفال بالسودان قرب الندران تلعب بصنع عرائس أو أشكال حيوانات من الطين مختلفة الأشكال بيد أنها قلما تحرق وقد لاحظ بيتري أن هذا النوع من اللعب كان موجودًا بمصر (لا يزال شائعًا إلى اليوم أيضًا بجميع بلاد الفلاحين- للمعرب) ولدينا منها مقادير كبيرة وجدت في مقابر العائلة الثانية عشرة الفرعونية بالكاهون .

(٣٦) يقول ورنر ص ١٤٤ أن الإنسان كثيرًا ما يصادف بقايا فؤوس خشبية بجميع أنحاء أفريقيا وخصوصًا بالسودان وقد لاحظ بيتري أن هذا النوع وجد بمصر على عهد العائلة الثانية الملوكية واستمر وجوده في أزمنة بقية العائلات الأخرى.

(٣٧) ذكر ورنر وجود فؤوس خشبية بكل جهات السودان وقال أن مقبضها أقصر من مقابض الفؤوس المعدنية وقد لاحظ بيتري أن هذا الشكل موجود في الخط المقدس (الهيروغليفي وذلك دليل على وجود بمصر قبل أزمنة التاريخ يعني قبل وضع أحرف الكتابة التصويرية بمصر قبل أزمنة التاريخ يعني قبل وضع أحرف الكتابة التصويرية بمصر للمعرب) وأنه كان مستعملاً بمصر منذ عهد العائلة الثانية عشرة الفرعونية ومنها نشأت الفأس المعدنية.

(٣٨) ذكر ورنر ص ١٩٥ أن القوم بالسودان يفتلون أو يبرمون الخيوط بأيديهم أولاً ثم يكررون فتلها بالمغزل اليدوي وقد لاحظ بيتري أن هذا النوع من الغزل في مقابر بني حسن من عهد العائلة الثانية

عشرة الملوكية وقال إن القوم بمصر اليوم يغزلون الصوف بالمغزل قبل إبرامه باليد.

(٣٩) وصف ورنر الأنوال المستعملة للنسيج بالسودان ص ١٩٦ وقد لاحظ بيتري أنها صورة طبق الأصل من أنوال قدماء المصريين خصوصًا المرسومة بقبر خيتي (Khety) في بني حسن من عهد العائلة الثانية عشرة الملوكية. (٤٠) ذكر ورنر ص ٢٠٠ أن القوم بالسودان يضعون ناموسيات من ليف النخيل وأن سكان أعالي النيل يستعملون أكياسًا للنوم لتقيهم لذع البعوض ، وقد لاحظ بيتري أن هيرودوت ذكر استعمال الناموسيات بالدلتا بمصر (يعني أنه كلما وجدت المستنقعات وكثر البعوض استعمل سكان وادي النيل الناموسيات– للمعرب). (٤١) جاء بمقالة الدينكة بدائرة معارف الأديان أن القوم قبل أن يذهبوا لصيد السمك أو حصان البحر يقدمون خطاطيفهم (Harpoons) المستعملة للصيد لزوجة الكاهن لتدهنها بشحم فرس البحر ثم يستمدون معونة أرواح الآباء والأسلاف ويبدأون بالصيد وقد لاحظ بيتري أن الخطاف كان واسطة الصيد بمصر وكان قبل أزمنة التاريخ من العظم ثم صار من النحاس وعلى عهد الرومان صار يصنع من الحديد .

وذكر كيشينج (A. I. Kitching) في كتابه المسمى (On the back waters of the Nile) المطبوع سنة ١٩١٢ أن أفراد قبيلة البونيورو (Bunyoro) يربطون الخطاطيف بحبال من ليف

ويعلقون عومات حتى يرقبوا بواسطتها حركات فرس البحر عند إصابتهم إياه إلى أن يموت ثم يذهبون ويستولون عليه لكل سهولة.

(٤٢) ذكر ورنر ص ١٩٣ أن القوم في السودان يستعملون لصيد السمك شباكًا تثبت على الساحل بقطع كبيرة من الحجارة ونرفع أطرافها الأخرى بالماء بعوامات وفي بعض الأحيان يستعملون شباكًا كبيرة تبقى حبالها بأيدي عشرين رجلاً لسحبها وقد لاحظ بيتري أن هذه صورة طبق الأصل لشباك قدماء المصريين المرسومة مئات المرات في المقابر المصرية.

(٤٣) ذكر ورنر ص ١٩٣ أن السودانيين يستعملون أيضًا شباكًا بدوية خفيفة ذات ضلعين متحركين على نقطة ارتكاز واحدة ولها عارضة تفتح فوهتها بواسطتها وقد لاحظ بيتري مطابقة ذلك تمامًا لرسم شباك يدوية من عهد العائلة الخامسة الملوكية بمصر.

(٤٤) ذكر ورنر أن سكان بحيرات منابع النيل الأبيض يستعملون سلات مصنوعة من الأعشاب لها فوهة واسعة مفتوحة وأخرى ضيقة قد سدت بشبكة من الأعشاب التي يتخلل منها الماء وتحول دون مرور السمك وذكر كيتشينج ص ٢١٣ من كتابه أن قبائل الباكيني (Bakeni) تعمل سلات كبيرة لهذه الغاية وقد قارن بيتري بين هذه الرسومات وبين رسومات السلات التي كانت مستعملة بمصر على عهد العائلة الخامسة الملوكية فإذا بهما صورة طبق الأصل أو طراز واحد.

(٤٥) ذكر كيتشينج أن من الطرق المتبعة في صيد الأنتيلوب فخ عبارة عن حلقة يوضع بداخلها شوك متجهة إبرة إلى الجنوب ثم يركز على حفرة ويغطى بأعشاب فإذا جاء الأنتيلوب ليرعى ودخلت رجله بالحفرة لا يمكنه إخراجها لأن تلك الإبرة النباتية تخرق جلده وكلما حاول الإخراج زادته ألمًا فيمكث حيث هو حتى يحضر الصائد ويقبض عليه ، وقد لاحظ بيتري أنه وجد بمصر مثل هذا الشوك وقدمه إلى متحف مقارنة الشعوب بأكسفورد وقال أننا نرى في رسوم مقبرة في (H RAKONPLIS) من قبل أزمنة التاريخ صورة فخ كبير من هذا النوع وقد سقطت به أربع حيوانات لأجل إيجاد صيد للميت.

(٤٦) ذكر كيتشينج ص ٩- ١٨٨ من كتابه أن أهالي مملكة جان (Gan) يزينون رؤوسهم بشيء يسمونه جويتش (Giwch) وهو عبارة عن مخروط من شعورهم التي يحافظون عليها كلما قصوها ارتفاعه أربع بوصات وقطره عند القاعدة ثلاث بوصات وقمته عبارة عن ظرف مرمي (خرطوشة) فارغ ويزينونه بقلائد من الخرز الأبيض والأحمر وقد قال بيتري أن هذه العادة تشرح لنا معنى الشكل المماثل لهذه الصورة الذي طالما صادفناه على رؤوس المصريين من عهد العائلة الثامنة عشرة إلى آخر عهد العائلة العشرين ، والذي أعيانا معرفة حقيقته حتى وقفنا على هذه العادة السودانية والفرق الوحيد بين الاثنين أن المخروطات المصرية لم تكن مزينة بقلائد وفي ص ١٦٩ من مجلة"مصر القديمة" قال بيتري عند آخر بحثه

المذكور العبارة الآتية: أن هنالك علائم تدل على وجود أدوار مهمة انتشرت فيها المدنية من مصر أو عن طريقها إلى قلب أفريقية ، فالدور الأول كان على عهد العائلة الخامسة عشرة في نباتا (Napata) التي أخذت كل مدنيتها وكتابتها عن مصر ونشرتها بالسودان بيد أنها تصل إلى خط الاستواء وغرب أفريقيا والدور الثاني في القرن السادس قبل الميلاد وفيه وصلت المدنية المصرية إلى بلاد النيجر (غرب أفريقية) ومركز أفريقيا إلى جنوب خط الاستواء ثم ضرب مثلاً بطراز المعمار المصري وانتشاره بأفريقيا فقال أن أهالي سونغاي (Songhia) قد أفلحوا في تقليد طراز المعمار المصري في المباني الخشبية والطينية بدل مباني مصر الحجرية ثم انتقل من ثم إلى (Mandin Gos) ماندين جوز... ثم في مدينة جنة (Jenne) الواقعة عند ملتقى النيجر وباني (Bani) ومن (جنة) انتشر في جميع أنحاء السودان الغربي وليس ذلك بقاصر على طراز المعمار المصري بل كذلك بناية السفن وبقية الصنائع الأخرى ثم قال أن أكثر العقائد والعادات الأفريقية كونت دعائم المدنية المصرية بيد أنها ليست كل شيء في مدنية مصر لأن صلات مصر الدائمة مع سور وعلام وأشور وبابل واليونان أدخلت على المدينة المصرية كثيرًا من التعديلات والرقي بيد أن ذلك لا ينفي أن أساس مدنيتها خصوصًا قبل أزمنة التاريخ أفريقي بحت.

أثبتنا في الصفحات السابقة وجود اتفاق كبير بين العادات المتبعة في مصر والسودان منذ العصور الغابرة ولا شك أن وجود بعض العادات

الجوهرية خصوصًا العادات المتبعة في دفن الموتى والعقائد الدينية عند قومين أو أكثر لا يمكن تأويله

(**أولاً**) بأنه من قبيل توارد الخواطر أو المصادفة خصوصًا إذا كانت تفاصيل هذه العادات متفقة في كل شيء.

(**ثانيًا**) لا يمكن تأويله بأنه ناجم عن النقل أو التقليد اللهم إلا إذا أثبتنا وجود علاقات متبادلة وثيقة بين الطرفين منذ القدم ومع هذا فإن التقليد في الغالب يكون في الأمور الغير جوهرية اللهم إلا إذا أرغم قوم غيرهم بقوة السلاح والتغلب على قبول عاداتهم وهو في علاقات مصر بمجاهل أفريقيا وغيرها معدوم: فلا يمكن إذن تأويل وجود هذه العادات إلا بالسبب

(**ثالثا**) وهو القاعدة الأساسية المشيدة عليها دعائم علم مقارنة المدنيات والمجمع العلمي لهذا الفن وأعني بذلك القرابة العرقية بين هذه الأقوام ذات العادات والعقائد الدينية المتشابهة وبناء على ذلك لا يسع بيتري أو أي مكابر ، إلا الإقرار بأن مصر والسودان من عنصر واحد وكون العادات المصرية القديمة مطابقة لكثير من عادات القبائل المختلفة بأفريقيا يشرح لنا سبب تسمية مصر ، إذ هذه الكلمة التي حاول "بروكش" وغيره تأويلها باسم قلعة أو جبل معناها الحقيقي في اللغة السنسكريتية الشعب المختلط الأمشاج أو الخليط من الخلق ..كما أن كلمة فقط أو إيجيبت معناها المصون أو المحفوظ ومن هاتين الصفتين سهل تصالب الشعب المصري المكون من العنصر الحامي فالقبائل

الزنجية المختلفة فالعنصر الكوني أو البوني أو الأثيوبي حتى صار شعبًا ذا صفات خاصة ولكن عنصره هو وسكنة السودان واحد وهنالك بعض عادات أخرى لم يذكرها بيتري أود أن أذكر أهمها تأييدًا لهذه القرابة العنصرية بين المملكتين التي بفضلها نفهم كثيرًا من أسرار الدبانة المصرية القديمة.

(١) إن عادة الختان المنتشرة بين الأقوام السامية والشعب المصري منذ القدم موجودة أيضًا بالسودان وإذا كان هيرودوت قديمًا قال بأن سكنة كليكيا من نسل الجيوش المصرية لوجود الختان لدى القومين لجهله بوجوده لدى بقية الأقوام السامية فإن ختان البنات الذي لا أثر له قط بأي جهة من جهات العالم إلا بمصر والسودان من أكبر الأدلة على القرابة العرقية بين الشعبين وتوسع السودانيين في عمليات الختان وعند الولادة وفي ظروف أخرى مما يبرهن على أن منشأ هذه العادة سودانية انتقلت إلى مصر منذ القدم ولا تزال متبعة في القطرين.

(٢) العنجريب أو السرير المصنوع من الجريد كان موجودًا في مصر من أقدم العائلات الملوكيين وكان مستعملاً في كل منزل بها على عهد تل العمارنة والعائلة الثامنة عشرة الفرعونية ولا يزال إلى اليوم مستعملاً بالسودان وبلاد الصومال وخط الاستواء (راجع الخريطة نمرة ٢ من الجزء الأول من أطلس أفريقيا نوس) وببلاد الحبشة وبوغاندا نجد استعمال العنجريب والمصاطب المبنية باللين– كمصاطب العمد والفلاحين بمصر– شائعًا وما اندراس هذه العادة في مصر إلا بفضل

تغلب المدنية الغربية عليها.

(٣) جاء في كتاب أفريقيا المجهولة لمؤلفه العلامة فروبينيوس العبارة الآتية: أن الرسم- المقصود هنا الرسم التخطيطي لا التصوير ولا النحت لا يوجد قط بين الأقوام الأفريقية إلا عند قدماء المصريين ولا يزال حيًا إلى اليوم وفي رسم البوشمان وهم في الرسم أقرب إلى قدماء المصريين من جميع سكان شمال أفريقيا وقد سبق لي القول بان البوشمان أو سكان الأدغال لما هبطت الصحراء وشمال أفريقيا انسحب سكان الصحراء إلى أواسط أفريقيا وسكان الشمال هاجروا إلى مصر (راجع أيضًا مقالة بيتري في دائرة معارف تاريخ العالم لهامسورث في شأن تاريخ مصر القديم وهذا يبرهن على القرابة العرقية بين المصريين والبوشمانيين).

(٤) جاء في كتاب "عشر سنوات بخط الاستواء بأفريقيا ، والعودة مع أمين باشا" لمؤلفه كينانو كوزاتي ص ٤٢: من أهم طقوس الدينكة الدينية عبادة الثعابين وتقديسها ففي كل منزل يوجد ثعبان أو أكثر يعيش آمنًا هادئًا دون أن يمسه أحد بسوء بل له حرمة الأنبياء ويبلغ من إيناس الثعابين أنهم يقدمون لها اللبن لإطعامها وأنه يتبع المرأة عند ما تناديه في جميع غرف المنزل وثناياه دون أن يؤذي أحدًا بسوء وجاء في دائرة معارف الأديان تحت مادة (Nuba ص ٤٠٢) وفي تيرا الأخضر بكورد فان الجنوبية توجد أناس تدعي أن جدها الأعلى ثعبان يسمونه أرونجا (Erunga) يستطيع كل واحد منهم أن يقلب نفسه أفعى!!! متى شاء

وإذا لدغ ثعبان أو أفعى أي إنسان نقل أحد أولئك الناس على الموضع ودعكه فيبطل أثر السم ويطيب المصاب لوقته. وإذا انتقلنا إلى مصر قديمًا نجد أن الثعبان ذا الأجنحة أو الشمس ذات الأجنحة كانت ترسم برأس ثعبان وكانت من أكبر المعبودات بها ،ويرى أن الثعبان المقدس كان رمز الربة (Buto) وكان بمصر معبدان الثعابين مقدسين في مقاطعة طيبة خصوصًا في جهاتها الشمالية (راجع ص ٣٥ من مجلة مصر القديمة ٩١٤ لبيتري وكتاب "الدين المصري" لايرمان، ونجد الدور المهم الذي يلعبه الثعبان في سياحة أوزيريس وقرص الشمس في عالم الأموات ونرى حتى اليوم الاعتقاد السائد لدى الخلق بشأن الثعابين الموجودة بالبيوت من أنه صاحب البيت أو رب البيت الذي لا يصح أن يؤذى بل يطعم وأنه لا يضر إلا إذا أوذي وأن رفيقته أو قرينته تنتقم من العائلة إن هي ضرته ونجد الطريقة الرفاعية وما يتبعها من القبض على الأفاعي ومنع أثر سمومها وضررها كلها أشياء تثبت وجود هذه العقيدة السودانية وتأصلها بمصر منذ القدم بفضل قبائل الدينكة التي هاجرت إلى مصر على عهد العائلة الثالثة الفرعونية وبفضل القبائل النوبية التي توطنت وسكنت بصعيد مصر حتى طيبة وما يليها.

(٥) كتب إدوارد نافيل في مجلة الحفريات الأثرية ريفيو أرشيولوجيك سنة ١٩١٣) مقالاً بديعًا تحت عنوان المنشأ الأفريقي للمدينة المصرية جاء في صحيفة ٤٨ أن آثار العصر الحجري تدل على أن منشأ المدينة المصرية القديمة كان له مركزان واحد بالدلتا والآخر ببلاد النوبة الجنوبية والسودان، وقد اعتقد المستر (Welcome) أنه

كان بسنار والنيل الأزرق يعني أن سكان مصر الأصليين لم يكونوا آسيويين بل أفريقيين جاءوا إليها وانتشروا فيما حولها من البلدان وجاء في ص ١٠ – ٥٠ أن اسم (Anou) أنو أو (An) أو (On) اسم عنصري وكان يطلق على عين شمس حيث كان يعبد توم أو أتوم وكان اسم مصر "قطرآن" وهذا العنصر في عرف قدماء المصريين كان يسكن كل شمال أفريقيا وشبه جزيرة طور سينا وبلاد النوبة وكان اسم (Anuthennu) يطلق على سكان شمال أفريقيا الواقعين بغرب مصر و(Anahesti) يطلق على سكان بلاد النوبة وجنوب مصر واسم "Anu" كان يطلقه قدماء المصريين على فصيلة من البشر لها لون معين ولم يطلقوه على الزنوج قط وقال في ص ١ – ٥٠ أن أحد ضباط العائلة الخامسة توغل في أعالي النيل ، فوجد أن أكثر سكان حياضه من هذا العنصر الذي كانت حدوده الجنوبية بعيدة ثم أخذت تنحسر إلى الشمال تدريجيًا على ما يظهر تحت تأثير غارات الزنوج واسم (Anumeentou) أو "Menti" كان يطلق على سكان شبه جزيرة طور سينا وجنوب فلسطين وبلاد مدين وربما كانت كلمة مدين في لغات الساميين مشتقة من "Mentou" المصرية والعنصر الذي كان قدماء المصريين يسمونه Anou هو الذي نسميه نحن الآن الحامي ساكن شمال أفريقيا وأعالي النيل وجاء في ص ٥٢ أن قبيلة هاجرت إلى مصر من السودان في مبدأ عصور التاريخ وحملت إليها حرفة التعدين والصناعات المعدنية وجاء في ص ٤٠ – ٥٣ أن قبيلة أفريقية "سودانية" تعرف صنع النحاس جاءت من حياض النيل الجنوبية وأدخلت هذه

الصناعة إلى مصر وعلمت أهلها الصنائع والكتابة والزراعة ويسمى عصرها بالعهد "النحاسي" وكانت هذه القبيلة من نفس العنصر الأصلي لسكان وادي النيل.

وهذا يدلنا أولاً على القرابة العرقية بين الشعبين وثانيًا على أن العنصر المصري أكثرية دمائه حامية مثل بقية سكان شمال أفريقيا وشرقها وبلاد النوبة والجزء القليل فيه من الزنوج والبوشمان وغيرها من قبائل مجاهل أفريقيا ولا أظن بعد كل الأدلة العلمية السالفة الذكر يستطيع متبجح من مستعمري الإنجليز أن يدعي بأن المصريين غير السودانيين أو أنهما قومان لا قرابة عرقية بينهما أو يعجز مصري عن إثبات هذه القرابة المقررة لدى كل العلماء.

يقول الأستاذ جورج بوشان في كتاب "علم أنباء الشعوب وأنسابها" أن قبيلة المنجبيتو تزين شعورها بدبابيس مصنوعة من النحاس والعظم وخلافه كما كان يفعل قدماء المصريين تمامًا، ويقول أن الخناجر المستعملة اليوم في أداماوا صورة طبق الأصل من خناجر قدماء المصريين ، وأن السهام الحادة القاطعة المصنوعة من الخشب التي كانت مستعملة بمصر قديمًا موجودة اليوم من دارفو غربًا إلى شرق بلاد الحبشة شرقًا ومنتهى بلاد يوغاندا جنوبًا ، ويقول أن قبيلة " أساندا" تستعمل اليوم قيثارة من الطراز الذي كان يستعمله قدماء المصريين تمامًا. و أن الأواني الحجرية التي من طراز أواني قدماء المصريين مستعملة حتى اليوم بأعالي النيل. كل هذه البراهين تؤيد وحدة مصر

والسودان في العنصرية والدين والعادات رغم أنف كل مكابر وما اختلاف لون البشرة إلا من تأثير الإقليم وحرارة الشمس كلما اقترب الإنسان من خط الاستواء وما أصدق ما قاله حكيم العرب الأشهر ابن سينا في هذا الباب وجاء العلم الحديث مصدقًا له

فـي الـزنج حـر غيـر الأجسـادا   حتـــى كســـا جلودهـــا ســـوادا

والصـــقلب اكتســـبت البياضـــا   حتـــى غـــدت جلودهـــا بضاضـــا

وإني أود أن أذكر رأي "آرثر ويغال " مفتش عموم مصلحة الآثار المصرية سابقًا وصاحب المؤلفات القيمة في تاريخ مصر "أن العنصر المصري حتى عند مبدأ فجر التاريخ كان مكونًا من أمشاج عناصر مختلفة في الوجه البحري كان القسم الشرقي أغلبه من عناصر آسيوية ، وفي غرب الوجه البحري كانت الأغلبية من الليبيين أما سكان مدينة أون أو عين شمس فأصلهم بدوي أما سكان الصعيد فقسم منهم منشأه بلاد بونت وقسم أسس المملكة التينية وقد دخلوا مصر من الواحات الخارجة يعني أصلهم ليبي ثم قبائل عبدة ست القوية وهي أقدم سكان مصر ويظهر أن عنصرهم ليبي أو حامي" وأذكر ما جاء في ص ٥٥٠ من كتاب الأستاذ يوشان من "أن أقدم سكان الحبشة وما جاورها هو موجة حامية الأصل امتدت من مصر إلى هذه الأرجاء فتوطن منها في شمال الحبشة ووسطها الأثيوبيين وسكن بقية البلاد القبائل الحامية المشهورة مثل أجاو وفالاشا وكافتشو إلخ" وأضيف إلى ذلك الفصل الممتع الذي نشره العلامة استواينفورت في كتابه المسمى (طرق مصر المهجورة المطبوع

سنة ١٩٣٢ ببرلين والذي وصف لنا فيه مقابر تمتد من الكاب (ما بين إسنا وإدفو) حتى أعالي بلاد الحبشة وبمنطقة الهدندوه وأكد بأنها كانت لشعب البجا كما يسميه مؤرخو العرب ويصرح بأن قبائل العبابدة استعربت كثيرًا" والبشاريين والهدندوة وبني عامر استعربت لدرجة ما وحباب، والشكرية (استعربت) والكبابيش المقيمة الآن في غرب النيل وسكنة الكهوف قديمًا كلها من فروع هذا الشعب وأن هذه المقابر كانت مستعملة حتى العصر التاسع بعد الميلاد حيث اعتنقت هذه القبائل الإسلام واتبعت طريقة الدفن الإسلامية.

وإني أصرف النظر عن تفاصيل هذا البحث الطريف مكتفيًا بهذه الخلاصة المثبتة أن هذه الموجة الحامية اتجهت من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي يعني بعكس الموجة القديمة التي تحركت من مصر إلى الحبشة وبلاد الصومال وأن كل هذه الأبحاث العلمية تؤيد شدة الروابط العنصرية بين مصر وجميع بلاد النيل وملحقاتها حتى ظهور الإسلام وإذا أضفنا إلى ذلك المحاضرة القيمة ماكميشائيل وعنوانها (ورود العرب إلى السودان) والتي ألقاها أمام الجمعية الآسيوية الملوكية بإنجلترا بتاريخ ٢٠ يوليه سنة ١٩٢٨ تخليدًا لذكرى الرحالة الشهير Burton نجد أن جميع القبائل العربية بالسودان هاجرت من مصر بعد أن أقامت بها أعصرًا وأن بعض أقسامها لا يزال متوطنًا بمصر حتى اليوم ولولا خشية الإطالة لأثبت معنى هذه الخطبة بيد أني أكتفي بهذه الإشارة لمن يريد المزيد ولكنني أنقل هنا بيانًا موجزًا لقبائل السودان المختلفة العناصر عن كتاب السودان المصري ج ٢ ص ٤٢٨ وما يليها لمؤلفه Wallis Budge واليس بادج

المطبوع بلوندرة سنة ١٩٠٧: هذه قائمة بأسماء قبل السودان المختلفة جمعت ورتبت من كتابي الكونت جليشن ومن تاريخ السودان لنعوم بك شقير وقد أضفت إليها معلومات مهمة جمعتها من كتب هارتمان ويونكر وبيكر وشوا ينفورت وغيرهم من السياح.

الفصل الخامس

القبائل الزنجية والتي تغلب عليها الزنوجة

(أولا) قبائل زنجية

(١) أجار شعبة من الدنكة تسكن حوضة نهر رول ببحر الغزال.

(٢) عورا تقطن ببلدة جاللا الواقعة ما بين الكابكابية وكولكول في دارفور.

(٣) بانقو ببحر الغزال تستخرج الحديد وتصنع منه أشياء كثيرة وصفهم شواينفورت جيدًا من حيث العادات وهم لا يعتقدون في البعث والنشور ولا في تناسخ الأرواح بيد أنهم يخشون الأرواح الخبيثة ويخافون من السحرة.

(٤) باري ضخام الأجسام يقول عنهم بيكر أنه تنقصهم الصفات المميزة للزنوج من سماكة الشفاه وفطاسة الأنوف. تفاسير وجوههم حسنة بيد أن شعورهم صوفية يصبغون جلودهم بلون أحمر ويوشمون أجسادهم ويتركون بأعلى رءوسهم ذؤابات من الشعر يرشقون فيها الريش ويتحلون بعقود من الخرز أو حبات الحديد ويسبلون خلفهم ذيلاً من خيوط جلدية رفيعة أو قطنية. عششهم لها سقوف بارزة وأبوابها ارتفاعها قدمان يحيط بها سور وأرضها مصقولة بالرماد

وروث البقر والرمل. يدفنون موتاهم داخل الأسوار المحيطة بالعشش ويرشقون عمودًا على كل قبر يعلقون على قمته مقدارًا من ريش الديكة ويربطون جماجم الثيران وقرونها (المعَدة للقرابين) بهذه الأعمدة ويسممون سهامهم بعصير شجرة معينة معروفة لهم. وأقواسهم من الخرزان وسهامهم طولها ثلاثة أقدام وأسنتها تركب في حفر خصيصة بها في نهاية السهام ويقول بيكر أن باري تعتبر أسوأ قبائل بحر الجبل سمعة وهم لا يلبسون شيئًا ومغرمون بالغناء والرقص والمشروبات الروحية الشديدة.

(٥) بارقارد أهم مراكزهم بجبل موسكو ما بين جبل حارز وجبل مره ويعبدن الأصنام سرًا.

(٦) بارتا يقطنون بني شنكول بجنوب فماكا وهم أقارب الفنج ولونهم يكاد يكون أسود وصفهم بعض السياح بأن تفاسير وجوههم قوقازية رجالهم يتمنطقون بحزام من الجلد له ذيل بينما النساء يسرن عاريات تقريبًا.

(٧) بارتي أهم مراكزهم جبل تاقابو يتكلمون باللغة العربية عدا لسانهم الخصوصي.

(٨) بيقو يقطنون بجنوب الدارا.

(٩) بديات قبيلة بدوية في غرب آبار النطرون.

(١٠) بورون شعبة من الهمج تعيش في الجبال الواقعة بجنوب خور دولب

(١١) داجو تقطن بجبل داجو الواقع في غرب دارا.

(١٢) دوار شعبة من الشلوك تعيش في غرب منطقة الدينكة.

(١٣) الدينكة تعيش في شرق النيل الأبيض قرب الشلوك ما بين خطي العرض ٦ و ١٢ وهم طوال الأجسام والرءوس رفيعو العضلات وأنوفهم عريضة بطراء الأرنبة وأفواههم واسعة وشفاههم كثيرة اللحم بيد أنها غير سميكة، رجالهم يمشون عراة الأجسام ويعيشون في عشش اسمها (التوكول) مغطاة بالقش وينامون على فراش من الرماد وروث البقر والنساء ترتدي بسترة من الأمام والخلف لستر العورة وينمن على حصر والرجال مسلحون بالحراب والهراوات القصيرة والدينكة المتوطنة بالنيل الأزرق هاجروا إلى هنالك من منطقة بحر الغزال.

(١٤) فراتيت تعيش ببحر الغزال في الجنوب الغربي من دارفور.

(١٥) فور: أهم مراكز جبل مارا اعتنقوا الإسلام في القرن الخامس عشر الميلادي.

(١٦) جبلايون: تسكن في فاماكا وهم أقارب قبائل الفنج وقبائل الهمج.

(١٧) جبلاويون تقطن بجبل مول في غرب دارفور.

(١٨) جانقي قبيلة ببحر الغزال من أقارب الدينكة.

(١٩) جور: بين الدينكة والبانقوس من أقارب الشلوك ويتكلمون بلسانهم ويشتغلون بصقل الحديد.

(٢٠) كاجا البادو: في شمال وشرق أم شانقة وهم مهرة في صيد الزرافة والدراك.

(٢١) كيمر أهم مراكزهم أبو عشار الواقع على بعد ثلاثة أيام في غرب كولكول.

(٢٢) كبق تقطن في الشمال الغربي من جبل مرة.

(٢٣) قولو : يعيشون في غرب البانقو في عشش شديدة النظافة. عملتهم من الحديد.

(٢٤) قموز تعيش في شرق فامارا وجيرانهم قبيلة لاما كاسنا بلصوصيتها.

(٢٥) لاتوكا قبيلة تعيش بتربية الماشية في شرق الجبل، عششهم على شكل النواقيس وفي كل قرية برج مكون من ثلاثة طبقات يقيم به الحراس ليل نهار.

(٢٦) مادي تعيش بجوار باري، أفرادها أقوياء البنية طوال الرءوس

والرجال والنساء تقص شعرها قصيرًا والرجال تستر أكتافها اليمنى بينما الصدور والأكتاف اليسرى عاريات وهم فلاحون مهرة يقيمون في عشش نظيفة.

(٢٧) ماكاراك: اسم هذه القبيلة معناه أكلة لحوم البشر. وهي شعبة من نيام نيام تقطن في بحر الغزال وقد وصف بوختا وهارتمان ويونكر ومارنو وشواينفورت عاداتهم بالتفصيل.

(٢٨) مارايت أهم مراكز الجاللا ما بين الكابكابية والكولوك.

(٢٩) مساليت جيران قبيلة قمر.

(٣٠) مدوب تقطن بجبل مدوب الواقع على بعد ثلاثة أيام من تقابو القريبة من طريق الأربعين.

(٣١) مونا مركزهم فافا وقد أسلم قسم منهم.

(٣٢) نيام نيام: قوم مشهورون يعيشون ما بين درجة عرض ٢ و ٦ شمالاً وكان عددهم مليونين ويسمون أنفسهم آ. زندي وهي كلمة دينكورية معناها الشره أو النهم لأنهم يأكلون لحوم البشر ، وقبائل ميتو تسميهم أما كاراك بينما البونقو تسميهم مانيانيا والديور يسمونها أوماديا كا والمانباطو يسمونها بابونجيرا. ويعتقد بعض السواح أنهم من أقارب الجاللا أو من أقوام الواهوما وغيرهم من السواح يجعلهم من أقارب (فان) والمانيما الذين يعيشون في غرب

بحيرة تانغانيقا ولونهم بني غامق وأجسامهم متينة البنية، قامتهم متوسطة ورءوسهم غير مستطيلة ووجوههم عريضة وأنوفهم أرنبتها بتراء وعريضة وشفاههم غليظة وخدودهم ممتلئة وآذانهم موضعها أقرب إلى أعلى الرأس وذقونهم مستديرة وأيديهم عريضة صغيرة .. وكذلك أقدامهم والرجال والنساء منهم يرخون شعورهم الطويلة المرسلة على أكتافهم ، وقد تصل بعض الأحيان إلى خصورهم وهم يرتبونها بأشكال عجيبة ويعقدون منها خصلاً للزينة ويتركون لحاهم الطويلة ويوشمون أقسامًا متعددة من أجسامهم ويرتدون الجلود ويحبون العقود المصنوعة من الخرز ، وكلما اختفت وتعددت أنواعه كلما راقهم كثيرًا ويتسلحون بالحراب وخناجر مختلفة الأنواع ويعيشون كل جماعة منهم في بضع عشش وليس لديهم قرى أو مدن وهم من أمهر الصيادين وينصبون الشراك للفيلة، والرجال يتزوجون بنساء كثيرة ومع هذا لو خانت المرأة زوجها فجزاؤها الإعدام.

والمرأة تفخر بكثرة أولادها ، وكلما كثر نتاجها كلما ارتفعت درجة احترامها بين قومها وهم مولعون بكل أنواع الموسيقى والرقص ويمضون أكثر أوقاتهم في لعب المنقلة التي يلعبونها على لوحة طويلة منصوبة على أربعة قوائم وبها ١٦ حفرة أو عين وأحجار اللعب ٢٤ قطعة. وهم يقصون شعورهم في المآتم علامة الحداد وجثث الموتى تزين بالريش وغيره وتوضع نصف جالسة في قبورها أو في أجزاع الأشجار المحفورة وفي بعض الأحيان قد يبنون غرفة في الأرض بجوار القبر ويشيدون من فوقها عشة (توكول) وهم قوم حرب

وشجاعة وضرب لا يرهبون الردي بيد أنهم جنود قساة القلوب يأكلون من يقتل في المعركة وكذلك بعض من يموتون طبيعيًا ويتلذذون بأكل شحوم البشر ويدهنون بها أجسامهم ويأكلون الكلاب، وهم أزكى سكان بحر الغزال. وعاداتهم تشبه كثيرًا عادات قدماء المصريين الذين هاجر أسلافهم من بونت إلى مصر وليس من المستبعد أن قبائل النيام نيام أصلها قوم فان وأن أصل فان محرف عن بون يعني سكان بونت أو الصومال.

(٣٣) النوير: يعيشون ما بين نهري الصوباط وبحر الغزال. وكلهم عراة الأجسام ويدهنون أبدانهم برماد روث البقر ويصبغون شعورهم بلون أحمر ويصقلونه برماد معجون ببول البقر والنساء المتزوجات يلبسن حول وسطهن سترة من الحشيش لستر العورة ويخرقن الشفاه العليا حيث يضعن سلكًا من الحديد قد ركبت فيه خرزات يبرز على شكل قرن الخرتيت أو وحيد القرن والرجال يلبسون حول أعناقهم عقودًا خرزية وحلقات حديدية (مدبدبة) حول الأذرع والمقابض يستعملونها في تأديب النساء وضمان طاعتهن وهم أقوياء البنية طوال القامة مسلحون بالحراب والعصي الغليظة ويعيشون في عشش حسنة البناء ومدار معيشتهم الفلاحة والصيد.

(٣٤) روناق تعيش في الجنوب الغربي من داجو.

(٣٥) شري تعيش بالقرب من باري في شمال جبل لادو والرجال مسلحون بالحراب والهراوات من الأبنوس وأقواس دائمًا مشدودة الأوتار والسهام ، ويحملون على ظهورهم أنبوبة ضخمة والنساء

يرتدين ستورًا من الجلد ذات أذناب مكونة من سيور جلد رفيعة ويحملن أطفالهن في أكياس من الجلد تعلق في الكتفين.

(٣٦) الشولوك: يعيشون في غرب النيل الأبيض ما بين جزيرة أبو وبحيرة نو وقد كانت عاصمتهم فاشوده ويسميهم الأهالي شللا أو أوجاللو وهم طوال القامة وأكثر الرجال يسيرون عرايا بينما النساء يرتدين بعض الملابس والرجال مسلحون بالحراب والمجن (الدرقة) والهراوات ، ويقال أنهم من أشجع الجنود سريعو الغضب ويميلون للخصام والعناد بيد أنهم أهل حرف، كثيرو المكر والحيل .. ويؤكد الكونت "غلايشن" أنهم أمهر المحاربين بالسودان وأخلاقهم من حيث عفة النساء وحسن معاملتهن طيبة وممدوحة ومن طبعهم تعدد الزوجات وأهم أعمالهم تربية الماشية لأن أكثر بلادهم مراعي ويمهرون نساءهم بمقادير من الماشية وبلاد الشلوك يحكمها رئيس يلقبونه مك ومنقسمة إلى منطقتين جر ولوك ثم تقسم إلى ٢٩ مركزًا أو ديره .

(٣٧) سيميار: قبيلة من أقارب قمر والمساليت تعيش بجوارهما.

(٣٨) شوللا: شعبة من نفس عنصر الشلوك تعيش عند منبع بحر الجبل يعني النيل الأعلى.

(٣٩) تاما: قبيلة تعيش بجوار قمر.

(٤٠) زاغاوا قبيلة تعيش شمال الفاشر وتعيش شعبة منها اسمها كامالت بقرب دارا.

(ثانيا) النوبيين:

سكان النوبة الآن عنصر مكون من النوبيين (سكان كردفان) والعرب والأتراك وينقسمون إلى خمسة أقسام:

(١) دناقلة كانت مملكتهم تضم دافار ودنقلة والخندق وجزيرة أرقو .

(٢) المحاس ديرتهم ما بين الشلال الثالث وجبل دوشه وكان مقر ملوكهم في جبل ساسي.

(٣) السكوتيون يعيشون ما بين جبل دوضه والشلال الثاني. (٤) الحلفاويون يعيشون ما بين حلفا والسبوعة. (٥) الكنوزيون يعيشون ما بين السبوعة والشلال الأول. إن كثيرًا من البحثين يؤكدون أن أجداد النوبيين القدماء كانوا أسلاف قبائل البجا ، وأنهم هم مؤسسو حكومة مراو ونباتا.

(ثالثا) القبائل الحامية المنشأ:

(١) العبابدة يعيشون في منطقة عتباي من خط عرض درجة $22\frac{1}{2}$ حتى طريق قنا والقصير وينقسمون إلى: (أ) عشاناب ومقرهم أسوان ويعيشون بالصحراء ما بين قنا وكروسكو.

(ب) ماليكاب ومقرهم دراو ويعيشون بين دراو وبربر. (ج) فقارة مقرهم رمادي بقرب إدفو ويعيشون بساحل النيل ما بين قنا وكروسكو.

(د) عبودين وشناتير مقرهم سيالة شمال كروسكو.

(٢) البشارين وتنقسم هذه القبيلة إلى ثلاثة شعب مهمة: (أ) شعبة تحتل ساحل البحر الأحمر من القصير حتى العطبرة. (ب) شعبة تقطن بحوض العطبرة. (ج) شعبة تقيم في جزيرة عتباي. والبشارية يدعون أن أصلهم عربي ويقولون أنهم أولاد أم علي زوجة علي جعلان من نسل بشار بن كهل من نسل الزبير وكانت زوجته شقيقة العباس عم رسول الله كما يزعمون.

(٣) بني عمر تعيش ما بين العقيق وسنهيت ويدعون أن أصلهم من العرب.

(٤) حباب تعيش في شرق قبيلة بني عمر.

(٥) الهدندوة قبيلة تعيش ما بين خور بركو والعطبرة.

(٦) حلانقة مقرها كسلة.

(٧) أم أرعر أهم مراكزها أرياب وديرتها ما بين بربر وسواكن.

(٨) أناك وهي قبيلة طويلة القامة حسنة الهندام تعيش في الصحراء الشرقية وهي في الغالب من سلالة الشعب الجميل الخلقة الذي وصفه مؤلفو القدماء وقالوا أنه كان يعيش بجزيرة مراو وشعب البلمين.

(رابعا) القبائل العربية المنشأ

(١) عبد الله قبيلة تعيش في حلفاية وجدها الأعلى عبد الله ساعد الفونج في تأسيس مملكتهم في سنار

(٢) عقاليون ديرتهم ما بين دندر والنيل الأزرق. (٣) علاطيون يعيشون بسواحل النيل الأزرق ما بين حدبات ومشروع طاولة.

(٤) عراكيون بجوار أبي حراز وواد مدني.

(٥) عرب البشير: أهم مراكزهم عربية

(٦) أولاد حامد يعيشون بجوار حبانية.

(٧) الأحامدة: يعيشون بجوار جمعة.

(٨) بقارة محاربة يعيشون بين سنار وجبل شقادة.

(٩) بقارة الحوازمة يعيشون بجنوب كردوفان وأهم مراكزهم بركة.

(١٠) بريات وأهم مراكزهم تولو .

(١١) بطاحين يعيشون في شمال قبيلة الشكرية.

(١٢) بني فضل يعيشون بجوار الفاشر.

(١٣) بني جرار يعيشون في شرق كردوفان في مناطق النعام والغزلان.

(١٤) بني حسين أو أولاد أبي روف يعيشون ما بين جبل شقادة وخوردولب وأهم مراكزهم مرقوم وأبو حجر.

(١٥) بني حاسن يعيشون بجوار المساليت.

(١٦) بني هلبة مقرهم بلبل بقرب دارا .

(١٧) بدرية: مقرهم خورشي وطيارة ويقال أنهم أقارب الجعلين.

(١٨) دار حامد: بجوار الكبابيش.

(١٩) ضبينة أهم مراكزهم تومات على العطبرة وجيرة على الستيت ودوكة.

(٢٠) دوغم .

(٢١) فونج: أحفاد مجموعة قبائل كانت ذات سطوة عظيمة قديمًا تعيش في رنقة بقرب سنار ودبة ودنقلة. أصلهم زنوج بيد أنهم كانوا يدعون بأنهم من نسل العباس عم النبي.

(٢٢) الجعليون: يعيشون ما بين الخرطوم وأبي حمد وهم من أحسن القبائل العربية وأقدرها بالسودان.

(٢٣) جمعياب على النيل ما بين عقبة قرة والشيخ الطيب.

(٢٤) جموعية: على النيل الأبيض من أم درمان إلى الجنوب.

(٢٥) جمعة: أهم مراكزهم شاركليه.

(٢٦) جوامعة: أهم مراكزهم بارا.

(٢٧) حبانية: أهم مراكزهم كاكا في دارفور وتوجد قبيلة بنفس الاسم تقطن بشركليه

(٢٨) حلاويون: بجوار المسلمية

(٢٩) حمادة: أهم مراكزهم داباركي: ودنكور وتعيش ما بين راهاد وبندر.

(٣٠) همج: قبيلة زنجية أسلمت أهم مراكزهم جبل قالي الواقع على بعد ثلاثة أيام في جنوب كارجوك.

(٣١) حمر: تعيش في أبي حراز والنهود وفي مناطق يعني أشجار المياه.

(٣٢) حسنية: في جبل جليف في صحراء جاكدول.

(٣٣) حواوير: أصلهم من صعيد مصر ويعيشون في صحراء جابر.

(٣٤) حواطية: في غرب الكبكبية

(٣٥) حمر في أضية ما بين بركة وشا كا.

(٣٦) حمران.

(٣٧) حسونات أهم مراكزهم قاطنة.

(٣٨) كبابيش أكبر قبائل كردوفان ويقال أن عددها كان قبل ثورة المهدي ربع مليون نسمة وأهم مراكزها آبار وصافية وعين حامد.

(٣٩) كتابة تعيش بقرب جزيرة آبا بالنيل الأبيض.

(٤٠) كربات: في غرب الكبكابية .

(٤١) خوابير: يرجع أصلهم إلى بني أملا وبني عباس وهم من أكثر الناس تربية للماشية والخيل ومركزهم ودعة.

(٤٢) خوالدة: بقرب عبود بالجزيرة.

(٤٣) هواوير وخزام.

(٤٤) كواهلة: بقرب عبود وواد مدني والبدو منهم في غرب بندر وهم أقارب الحسنات والشنابلة.

(٤٥) قواسمة: في شمال سنار ومن شعباتهم عبد اللب وقماطير الذين يعيشون ما بين النيل الأزرق ورنقة والروصيرص وأهم مراكزهم خاركوج.

(٤٦) لحويون: بدو يعيشون بسواحل النيل الأبيض ما بين كوا وجبلين.

(٤٧) معاليه: أهم مراكزهم كاركود في شمال حلويشة وقوز المعاليه.

(٤٨) مدنيون: أهم مراكزهم واد مدني واسمهم مشتق من اسم جدهم

الأعلى الشيخ مدني.

(٤٩) مهاري.

(٥٠) مهاريون أو مهارية: يقال أن أصلهم من عرب اليمن (من بلاد المهري في شرق حضرموت لافي اليمن– المعرب) وأهم مراكزهم الدر.

(٥١) المسالمية على النيل الأزرق.

(٥٢) مرافاب: يعيشون في جنوب رباطاب وأهم مراكزهم بربر وتنقسم إلى أربع شعبات وهي صيام، مصطفياب لباياب ورحماب.

(٥٣) المناصير: عند الشلال الرابع وأبي حمد وأقسامها هي وهباب وقبانة وسليمانية وحبرة وكاجوباب.

(٥٤) مصرية بكردفان.

(٥٥) رفيعون: في الكاملين على النيل الأرزق.

(٥٦) رشايدة عرب من الحجاز.

(٥٧) رباطاب: في جنوب المناصير وأقسامهم الثلاثة المهمة هي بدرية، فرانيب وداعيفاب ولديهم آراء السودانيين من أنهم أصحاب الملك وطربوشه ولديهم عرشه وطربوشه.

(٥٨) رزقات: من أهم قبائل دارفور الكبيرة وأهم مراكزهم شاكا .

(٥٩) سار وراب في شمال أم درمان.

(٦٠) شايقية تعيش بالشلال الرابع وأقسامها المهمة عدلاناب، سواراب حنيكاب، وعمراب.

(٦١) شامباطة: ما بين واد عباس وسنار.

(٦٢) شكرية قبيلة مشهورة كانت عددها نصف مليون نسمة قبل ثورة المهدي وأهم مراكزها رفاعة على النيل الأزرق والفاشر على العطبرة والقضارف وأرانج وقلاعة وأبو دلك.

(٦٣) سلم: في جنوب كنانة.

(٦٤) تعايشه تقطن بمنطقة فراريت وأهم مراكزها منادوة بالقرب من كاكا.

(٦٥) ترجم: جيران المساليت.

(٦٦) تمام: أهم مراكزهم بركة.

(٦٧) عطفات: أهم مراكزهم آنكا.

(٦٨) عريقات: أهم مراكزهم كتور.

(٦٩) يعقوباب في جنوب سنار.

(٧٠) زبللعة في المنطقة ما بين رهاد ودنيدر وهي لا تعتقد ببني سوي أبي جريد مؤسس مذهبهم وقبره في حلة ببنزوقة ما بين كاركوج والرصيرص وهم يقولون لا إله إلا الله وأبا جريد رسول الله. ونساؤهم بيض الأجسام مفرطو السمنة ويستعملن الطيب والعطور بإفراط شديد. وقد أثبت هذه القائمة الشاملة لقبائل السودان لثلاثة أسباب:

(١) لأن ما بها من المعلومات يعتبر رسميًا لأن أساسه كتابة اللورد جليشن وقد كان رئيس قلم الاستخبارات العسكرية والمعلومات المسطورة. عمدة رجال الإدارة بالسودان وفي معرفتها فائدة لشباب مصر هذا فضلاً عن أن إضافة أقوال كبار السائحين والمكتشفين إليها مما زاد قيمتها أهمية.

(٢) أن هذه المعلومات المطولة لم ترد القارئ إلا يقينًا بوحدة العنصرين المصري والسوداني فكل منها مزيج من الحاميين والعرب والزنوج مع مقدار قليل من الدم التركي.

(٣) أن نفس بادج مؤلف تاريخ السودان رغم جشعه الاستعماري يعترف بوجود قرابة عرقية بين قدماء المصريين وقبائل الزنوج حتى نيام نيام احتقارًا لدعاوي المستعمرين الكاذبة .

الفصل السادس

مصر والسودان في نظر التاريخ

إن من يدرس المدنية المصرية ، ويرى الدرجة الرفيعة التي وصلتها عند مبدأ حكم العائلة الأولى لا يمكنه الإدعاء بأنها ولدت فتية بمجرد ارتقاء مينا عرشه لأن هذا مخالف لسنن الطبيعة وأحكام المنطق وما مثله إلا كمن يحضر تمثيل رواية في الفصل الثاني والثالث ، ويعتقد أن هذا مبدأ الرواية كما يقول آرثر ويغال ومن الخطأ توهم بلوغ الشعب المصري هذا الرقي في عصر أو عصرين ، لأن دور الانتقال من الهمجية المطلقة ومن دور البداوة إلى الحضارة وتصالب العناصر المختلفة وتوطنها من جهة ومعرفة طبائع الأشياء والتدرج في الزراعة والصناعة وتأسيس الإدارة مما يحتاج إلى عشرات الأعصر كما هو الحال في بقية الأمم ولهذا يرجع بيتري إلى حوالي عشرة آلاف سنة قبل الميلاد معتبرًا هذا مبدأ المدنية المصرية بينما مانيتو يقول بأن أقدم الحكومات المصرية يرجع عهده إلى نيف وتسعة آلاف سنة قبل الميلاد بيد أني أقدم للقراء نبذة بسيطة من أبحاث آرثر ويغال بشأن الحكومات المصرية التي وجدت قبل عهد مينا أول ملوك العائلة الأولى جاء في ص ٤٠ و ٤١ من الجزء الأول ما يأتي. لقد وجدت في مصر قبل عهد مينا أربعة حكومات منفصلة عن بعضها تمامًا الأولى في الوجه البحري وكان لها عاصمتان في سايس وبوتو وكان ملوكها يرتدون التاج الأحمر والثانية مملكة الإنسي ،

وكان ملوكها يرتدون التاج الأبيض وكان مقرهم في هرقلوبوليس ومقرهم الشمالي ربما في السور الأبيض الذي صار فيما بعد مقر مدينة منف والثالثة مملكة الحوريين أو البواشق ، وكان مقرهم في هرقلوبوليس في جنوب طيبة والرابعة مملكة التينيين (بجوار أبيدوس أوالعرابة المدفونة) ويظهر أنها التحقت بمملكة الحوريين لأن مينا من أحفادهم. والمرجح أن مملكة الوجه البحري أقدم من غيرها عهدًا ولذا خصص لحكمها ١٨١٧ سنة يعني أنها تأسست في سنة ٥٢٢٤ قبل الميلاد (ويضيف بيتري إلى ذلك سنة ١٦٤٠ أخرى- المعرب) وبناء على رواية مانيتو يليها في القدم مملكة هيراكليوبوليس ومنقيس يعني أنها حكمت ١٧٩٠ سنة وكان مبدأ تأسيسها سنة ٥١٩٧ قبل الميلاد وعند انتهاء عهدها ورثتها في الحكم العائلة التينية التي حكمت ٣٥٠ سنة حتى ارتقى مينا العرش سنة ٣٤٠٧ قبل الميلاد" وبالطبع لم توجد هذه الممالك الأربعة دفعة واحدة بل تكونت كل منها بعد حروب طويلة قهرت فيها حكام أو أمراء المقاطعات وقد كان منها بالصعيد ٢٢ وبالوجه البحري ٢٠ مقاطعة.

ثم جاءت الحروب الدموية التي أدت إلى توحيد القطر المصري فالملك كيت (ملك مقاطعة الباشق شن غارات شديدة على جيرانه الشماليين وانتصر عليهم فوحد جميع الصعيد وأصبح هو ونسله خطر يهدد الوجه البحري وجاء الملك الملقب بالعقرب فرصن وحدة الصعيد وزاد الخطر على جيرانه الشماليين ثم جاء الملك نرمر فاستولى على الوجه البحري وقتل أمير مديرية البحيرة وأسر منها ستة آلاف جندي

قتلهم بجوار قلعته الواقعة قرب إدفو (أريوبا المصرية القديمة) وقد ذكر لنا جميع المحققين من المؤلفين أمثال ادوارماير وبريستد وويغال أن الملك نرمر استولى في بعض غزواته على مائة وعشرين ألفًا من الأسرى وأربعمائة ألف رأس من البقر ومليون وأربعمائة وعشرين رأسًا من الماشية كالغنم والماعز يعني أنه لم ينتصر بل أباد شعبًا بأكمله ويظهر من رواية ويغال أن مملكة هيراكليوبوليس هي التي عصت بعد فتحها بواسطة الملك كيت والملك المسمى بالعقرب فنكل بها نرمر هذا التنكيل المروع ، وقد تكرر هذا التنكيل عند عصيان الوجه البحري جملة مرات على فراعنة عائلات العهد القديم والقارئ لهذه الأشياء يسهل عليه طبعًا إدراك سبب غزوات مصر للسودان رغم وحدة الشعب العنصرية .

ويعرف أن الحكمة الإدارية قد تضطر الوالد لأن يقسو على ابنه حبًا في نفعه والأخ على شقيقه بغية إصلاحه وتعليمه ومما يجعل للفراعنة عذرًا مشروعًا أنهم ما فتحوا حبًا في الفتح ولا لزموا خطة العداء والعدوان بل كانوا مرغمين في كل الحالات لعمل ذلك صدًا لغارات القبائل البدوية وقمعًا لعدوانهم ومنعًا لشرور نهبهم وغضبهم وها هي نفس الحالة تتكرر بجزيرة العرب بين البدو والحضر وفي كل مكان وقع فيه تماس مستديم بين الرعاة والفلاحين أو بين المتمدينين ومن استمرأوا مرعى الهمجية والعدوان ولكي يبرهن للقارئ على مقدار رأفة الفراعنة بالمطيع من رعاياهم والسهر على إقامة نصاب العدل بينهم والسعي في تأمين رفاهيتهم ورغد عيشهم أعرب لهم المرسوم الذي كان يصدره فرعون مصر لكل من نصبه لرئاسة حكومته (رئيس الوزارة) وهو لا يزال الغاية

القصوى لما وصلت إليه أرقى الحكومات الحديثة من حب العدل والمساواة بين جميع أفراد الرعية وقد وجدت صورته مسطورة في مقبرة رخمرع وزير تحوتمس الثالث (١٤٤٧ – ١٥٠١ ق م حسب تقدير بريستد) ووجدت صورة منه أخرى بمقبرة وزر سلف رخمرع وفي مقبرة هابو وزير تحوتمس الرابع (١٤١١ – ١٤٢٠ ق م) بيد أن الصورتين الأخيرتين غير تامتين ولقد كانت هذه العادة متبعة بمصر منذ عهد الأهرامات فقد جاء في ص ٢٤٠ إلى ٢٤٣ من كتاب "الرقي الفكري والديني في مصر القديمة" لمؤلفه بريستد طبعة سنة ١٩١٢ ما تعريبه: النظامات والواجبات المفروضة على الوزير فلان. انعقد المجلس في قاعة استقبال فرعون الممتع بطول الحياة والسعادة والعافية فأمر الملك فلان (رئيس التشريفات مثلاً) بإدخال الوزير الذي تقرر تعيينه ولما مثل بين يدي فرعون قال جلالته: استلم مقاليد الوزارة وراقب كل ما يجري فيها وأعلم أنها عماد جميع المملكة (الدعامة التي ترتكز عليها جميع البلاد) واعلم يا فلان أن الوزارة ليست حلوة بل أن مذاقها مر واعرف أنها كالنحاس الذي يحفظ ذهب مولاه. اذكر أن الوزارة لم تنمح لك لكي تؤثر الأعيان وتحترم الأمراء وكبار الموظفين ولا لكي تجعل بعض الناس عبيدًا لشخصك. اذكر أن الرجل الذي يكون ببيت مولاه يحصل على رضاه بحسن خلقه وطاعته ولكن يجب عليه أن لا يعمل ذلك لغير مولاه. اذكر أن من الواجب عليك إذا جاءك شاك من مصر العليا أو السفلى (الوجه البحري) أو من أي جهة من أنحاء المملكة ومعه (لعلها الوثائق أو الأدلة – المعرب) أن تقضي في دعواه طبقًا للقوانين وتعمل

كل شيء تبعًا لقواعد العرف والعدل ومعطيًا كل إنسان حقه. واذكر أن الأمير (الحاكم الكبير والوزير كان عادة من الأمراء – المعرب) رفيع المكانة تنم الرياح والمياه عن كل أعماله. واعلم أن كل ما يعمله سيعرف إذ يستحيل أن يبقى مجهولاً أو سرًا خفيًا وإذا ما تسلمت أمرًا (من مشتك) للبحث فيه وجب عليك ألا تبني قرارك على مجرد قول أحد موظفي الدوائر بل يجب عليك أن تعين لدراستها وفحصها جيدًا شخصًا يصرح علنًا بعد درسها العميق أمام الموظف بقوله "إنني لا أرفع صوتي ولكني أرسل هذا المشتكي بناء على مستندات دعواه إلى محكمة أخرى أو أمير آخر" (غير الذي سبق له الحكم فيها – المعرب) لأن ما فعله لم يكن عن مجرد سوء فهم.

واذكر أن خير ملجأ للأمير أن يعمل تبعًا للقواعد المرعية وطبقًا للأوامر (القوانين) حتى لا يوجد مشتك يقول بعد صدور الحكم في دعواه "إنني لم أحصل على حقي". اذكر النص الذي كان موجودًا في أمر تعيين الوزير بمنفيس حيث أمره فرعون بالاعتدال بقوله... "احذر ما قيل عن الوزير خيتي الذي أصدر حكمًا مجحفًا ضد أحد أقاربه لصالح أحد الأجانب خشية أن يتهم بالتشجيع المعيب لأقاربه ولما استأنف قريبه هذا الحكم المجحف بحقوقه أصر الوزير على حكمه الأول" أن ذلك إفراط في العدل (أزيد من العدل) لا تنس قط أن تحكم بالعدل إذ الانتصار أو الميل مع الهوى لأحد الطرفين يستوجب لعنة الله على فاعله. هذه عقيدتنا وأوامرنا فاعمل بمقتضاها وعامل من تعرفه ومن لا تعرفه بقسطاس واحد وعامل المقربين من الملك كالبعيدين عنه. واذكر

أن الأمير الذي يتبع هذه القاعدة يخلد في منصبه (يعني أن بقاء الوزير في منصبه متوقف على إقامته ميزان العدل). لا تمر بمشتكي دون أن تنصت وتمعن في أقواله وإذا استأنف إليك مشتك وألفيت أقواله غير مصيبة (مخالفة للحقيقة) فاصرفه بعد أن تبين له الأسباب التي من جرائها رفضت طلباته واعلم أن من الأقوال المأثورة "أن أحب الأشياء إلى المشتكي أن يعتني الحاكم بسماع أقواله عن سماع الأمر الذي من أجله جاء". لا تغضب على إنسان بدون مسوغ (حق) وليكن غضبك موقوفًا على ما يجب الغضب منه. اجعل الناس تخشاك واوجد رهبة لذاتك إذ الأمير من خشيه الغير ولكن اعلم أن خشية الخلق للأمير تتوقف على إقامة منار العدل. واذكر أن من جعل الناس تخشاه لغير هذا السبب تحكم الخلق بخطئه ولا يقولون عنه "أنه في الحقيقة رجل" واعلم أن رهبة الأمير تخرس الكاذب إذا ما رأى الأمير شديدًا في الحق قويًا في العدل المسبب لرهبته. واعلم أنك لن تنال هذه الغاية ، إلا إذا قمت بواجبات منصبك هذا بالعدل والإنصاف.

يذكر أن الناس تنتظر من جميع أعمال الوزير نصرة الحق وإقامة منار الإنصاف واعلم أن العدل كان الأساس المتبع في هذا المنصب منذ برأ الله الخلق (منذ الله. عهد حكم الإله رع للخلق – للمعرب) ويذكر أن كاتب الوزير كان يسمى دائمًا كاتب العدل وها هي غرفة الاستقبال قد وضعت تحت تصرفك تسمع فيها الشكاوي وتصدر الأحكام علنًا والآن أصبح الرجل المكلف بإقامة منار العدل بين جميع أفراد الرعية هو أنت أيها الوزير. فاذكر أن نجاح الرجل في وظيفته يتوقف على عمله بالأوامر

الصادرة إليه (القوانين الموضوعة للسير بمقتضاها – للمعرب) واعلم أن نجاح الرجل في أن يعمل كما قيل له. لا تؤخر قط إحقاق الحق وتنفيذ العدل طبقًا للقوانين التي تعرفها واعرف أن الملك يحب بسطاء القلوب عن المغرورين والمتكبرين ، إلا أن يمكنك أن تبدأ أعمالك طبقًا لهذه التعاليم (الأوامر) الصادرة إليك. واذكر أنها سر النجاح بعد عنايتك بأراضي العرش وتعمير مؤسساتها وإذا ذهبت للتفتيش فأمر أيضًا رئيس قسم المساحة أو بعض أعوانه بالتفتيش وإذا كان غيرك سيفتش قبلك فاستفسر منه عن نتيجة تفتيشه. احفظ هذه الواجبات المحتمة عليك للعمل بمقتضاها."

وقد علق بريستيد على هذا المرسوم الفرعوني بقوله: "أن أهم شيء أكد فرعون مرارًا العمل به على وزيره هي العناية بالعدل لأن الوزارة لم تجعل لتفضيل الأمراء وكبار الموظفين على الفقراء والمساكين ولا لاستبعاد أي شخص بل لمجرد إقامة العدل باتباع نصوص القانون في كل أمر أو حكم تصدره لأن مقام الوزارة رفيع يجعل الأعين ترمق أعمالها بدقة لدرجة أن الرياح والمياه تذيع في البلاد أنباءه. وتنص على أن العدل أساس المساواة التامة بين الغني والفقير والقوي والضعيف بدون محاباة سيان في ذلك الأقارب والأجانب ومع أن الملك يحذر الوزير من الغطرسة والغلظة والغضب في معاملة الخلق فإنه يحتم عليه المحافظة على سطوة مكانته والعناية بإيجاد رهبة الحكومة في قلوب الرعية بإقامة منار العدل لا بالظلم والعسف الذي ينفر الناس من الحكومة ولأن القانون المتبع في الوزارة منذ حكم إله الشمس بالأرض هو العدل ولأن

من ألقاب الوزير أنه هو "الذي يحكم بين جميع الناس بالعدل علنًا" ويذكره بأن الملك يعطف على البسيط والضعيف الذي لا حامي له أكثر من القوي المتعجرف وأن إبقاء الوزير في وظيفته متوقف على عمله بهذه الأوامر التي غايتها المصلحة الاجتماعية ودعامتها عقيدة دينية مآلها "أن الله يمقت المحاباة" (كما جاء في قول فرعون لوزيره). أن فرعون كان في نظر الشعب يعتبر المتمم لحكم إله الشمس بالأرض هذا الذي منذ عهده والقانون المتبع بالوزارة هو العدل. ولما كان فرعون يسلم مقاليد إدارة البلاد إلى الوزير فقد قيد سلطته بضرورة إقامة منار العدل. وزاد على ذلك أن جعله مسئولاً أمام ذاته (بعزله إن ظلم) وأمام الله ، وبعد ذلك بنيف وثلاثة عشر قرنًا قامت أنبياء بني إسرائيل تصرح بأن سلطة بهوى (اسم الله لديهم) أكبر من سلطة الملوك ومع هذا مرت عصور كلها محاولات بدون جدوى قبل أن تتجلى هذه القاعدة في حكومة بني إسرائيل ولم نر لها أثرًا في تصريحات ملوكهم مع أنها كانت موجودة في أوامر ملوك مصر المحفوظة لنا من عهد الإقطاعيات بمصر إلخ ولقد اعتدنا أن لا نعرف هذه الروح العالية والقواعد الدستورية السامية بممالك الشرق القديمة ، بل ولا الحديثة وجاء في ص ٣٤٦ ما يأتي: أننا إذا قارنا هذه القواعد المصرية الإدارية بقوانين حمورابي التي وضعت في مثل هذا التاريخ نرى أن قانون حمورابي جعل إقامة العدل متوقفة على مراعاة الصنوف والطبقات الاجتماعية المختلفة يعني أن الجزاء في الجريمة الواحدة يختلف تمامًا بحسب مركز فاعلها في الهيئة الاجتماعية مع أن القانون المصري الصادر بتعيين الوزير نص صراحة على أن المساواة

والعدل أساس الحكم وعلى أن جميع الخلق سواء في نظر القانون .

ويظهر أن أفلاطون لما وضع كتابه بعد ألف وخمسمائة سنة من هذا التاريخ بشأن المدينة الفاضلة ، وشكل نظام الحكم كان يجهل أن مصر جعلت نظام حكومتها على هذا الأساس من قبل وطبقت كل خيالاته أو لعل هذا دليل آخر على أنه كان بمصر واستقى كل أفكاره وآراءه الفلسفية منها."

إن التاريخ لم يدون لنا العلاقات التجارية والاجتماعية بين الأمم والشعوب كما أنه لم يشرح لنا كيفية انتقال الروابط الفكرية ولا تبادل آثار المدنية وكما أننا اليوم قلما نظفر بشيء عن العلاقات والمناسبات الروحية والتجارية بين الأقطار المختلفة ، إلا إذا تتبعنا صحفها وراجعنا الكتب القليلة الموجودة في هذا الصدد وأكثر ما تعثر عليه هو النصب التذكارية إما للانتقادات العسكرية أو إنشاء مبان ضخمة أو مشاريع من المنافع العامة فكذلك كان الحال منذ القدم بمصر ولولا بعض مخطوطات المقابر أو نصوص مسطورة على بعض النصب التذكارية أو بعض شذرات من بقايا أوراق البردي أو مما نقله مؤلفو اليونان عن الكاهن المصري ما نيتو لبقينا في جهل مطبق لا نعرف عن تاريخ الفراعنة العظام شيئًا ومع هذا فإن حجر باليرمو وقائمة أبيدوس وورقة البردي المحفوظة في (تيورينو) والشذرات المبعثرة من كتاب ما نيتو كلها لا تزال غير كافية حتى لبيان ترتيب حقيقي لملوك كل عائلة فضلاً عن أعماله ومجيد آثاره.

نعم إن الكتابة كانت معروفة بمصر بزمن لا يقل عن خمسة آلاف سنة قبل الميلاد والتقويم وجد بالدلتا منذ شروق الشمس ونجمة الشعري اليمانية في خط عرض جنوب الدلتا سنة ٤٢٤١ قبل الميلاد (وهذا أقدم حادث تاريخي معروف كما يقول بريستيد) وأن كتاب العائلة الخامسة الفرعونية دونوا سجلات بأسماء من سبقهم من الملوك لمدة ألف وستمائة عام وقد شرحوا فيها أهم حوادث عهد كل ملك ومدة حكمه بالسنة والشهر واليوم ولكن بكل أسف غطى الطمي جميع آثار الدلتا وقد كانت مهد المدنية المصرية ومصدر الحركة الفكرية والعلمية والصناعية بينما كان الصعيد مخزن القوى العسكرية ولم نعثر من تلك السجلات إلا على بعض قطع صغيرة فعسى أن يخدم الحظ مواطننا العزيز الأستاذ سليم بك حسن فيعثر أثناء حفرياته بمقبرة رعوبر ووالده آخت حيتب على إحدى هذه القوائم والسجلات فيقدم للعلم خدمة عظمى ويشيد لمجد الفراعنة صرحًا يناطح السماء عظمة وشموخا .

ومع هذا فإن ما عثر عليه حتى الآن يثبت أن سكان النوبة عمومًا على رواية بريستيد وويغال كانوا من نفس قدماء المصريين وكانت منطقتهم تمتد حتى الكاب وشمال مقاطعة إدفو ومع هذا كانت في أصوان معاقل ترد غارات القبائل الرحل منها وكانت هذه الجهة تعرف بالباب يعني مدخل وادي النيل،وكما رأينا أن توحيد المقاطعات بمصر لم يتم إلا بحروب فكذلك إسكان القبائل البدوية وإدخالها إلى حظيرة المدينة بالنوبة والسودان كان سببًا لبعض معارك ولذلك نجد ويغال ص ١٠١ ج ١ من تاريخ الفراعنة يقول "أن الملك نرمر كما تدل آثاره غزا

بلاد الجنوب (النوبة) ورجع بعد تدويخ المملكة بنساء، وطيور، وفيلة وغنائم وفيرة ذات قيمة ومما يبرهن على أنه كان فاتحًا عظيمًا أنه قهر شعبًا ليبيًا يعني أنه عندما وافته منيته كان قد وحد مصر (الصعيد والوجه البحري) وأدب ليبيا والنوبة وترك مصر المتحدة الخاضعة ميراثًا لنجله الصغير الفتى المقدام مينا" أول ملوك العائلة الأولى الذي يقول عنه تاريخ العالم ص ٥١ ج ١ لناشره موريتز هارتمان ما يأتي: "أن مينا فضلاً عن انتصاراته العسكرية في الداخل التي مكنته من ترصين وحدة الشمال (الوجه البحري) والجنوب (الصعيد) حارب النوبيين الذي كان يمتد نفوذهم حتى حوالي إدفو ومن المعلوم أن بلاد النوبة كانت مأهولة بعناصر من نفس عناصر قدماء المصريين وأن الزنوج لم توغلوا بها إلا بعد أزمنة التاريخ بأحقاب طويلة" ويقول لنا بادج في ص ٥١١ و ٥١٢ ج ١ من كتابه تاريخ السودان "نعم أنه يستحيل علينا أن نعين مبدأ العلاقات التجارية بين مصر والسودان بيد أنه يحق لنا أن نقرر أنها كانت موجودة بانتظام منذ القدم وأنها ازدادت متانة وقوة بعد أن تم لمينا توحيد المصريين تحت حكمه وأن ملوك الثلاثة العائلات الفرعونية الأولى كانوا يهتمون جدًا بجعل سطوتهم محسوسة في البلاد الواقعة في الجنوب وأن الملك سمرخا من العائلة الأولى ، وتشرز من ملوك العائلة الثالثة أدبًا قبائل طور سينا وأخضعاها بكل نجاح وبالطبع ما كانا ليتأخرا عن إخضاع قبائل شمال السودان لسطوة مصر لو رأيا أقل لزوم لذلك .

ومن المرجح أن قبائل السودان كانت تدفع خراجًا لمصر وقتئذ في أوقات معينة ومما يستحق الذكر أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون

بوجود قرابة عرقية بينهم وبين سكان بونث وهم من السودان وكان كثير من المصريين يعتبرون أن بونت موطنهم الأصلي من ذلك نحكم بأن العلاقات بين مصر والسودان على الأقل في عهد العائلة الملوكية الأولى كانت حبية وأخوية" ويقول في ص (٥١٤) ما يأتي "إن الصور الموجودة على ألواح الأردواز التي وجدت بمقابر ملوك مصر قبل زمن العائلات في شكل صيد الزرافة ووقائع بين المصريين وزنوج شعورهم صوفية وأنوفهم فطساء تجعلنا نحكم بأن ملوك مصر ذهبوا للصيد في السودان فنجمت مشاكل بينهم وبين السودانيين وبما أن المصريين أحسن سلاحًا وأكثر دربة على الأعمال العسكرية فإنهم أرغموا السودانيين على الخضوع".
ويقول إدوار ماير في كتابه تاريخ القدم ص ١٣٤ "أن الملك مينا كان يلقب بمدوخ الشمال والجنوب إذ أنه أتم ما بدأه نرمر من جهة وأخذ الجزية من الليبيين وقهر النوبيين (Seti) ووحد القطرين نهائيًا" ويقول في ص ١٣٨ "أن الملك ميبيس Miebis (السادس من ملوك العائلة الأولى) دوخ قبائل عيونطيو أو سكنة الكهوف بسواحل البحر الأحمر" وقال في ص ١٣٤ "أن الملك خاسخم (من ملوك العائلة الثانية) نكل بعصاة الدلتا وقتل منهم ٤٨٢٠٥ وقد جاء في أثار أنه أخضع النوبيين لسلطانه" وقال في ص ١٦٣ "عندما أخضع ملوك العائلتين الأولى والثانية سكان سواحل البحر الأحمر والصحاري الجنوبية أوجدوا وظيفة حاكم الصحاري والجبال الشرقية "وجاء في ص ١٣٠ ج ١ من كتاب تاريخ الفراعنة لمؤلفه ويغال ما يأتي "أن أهم حوادث عهد الملك بينتر (ثالث ملوك العائلة الثانية) هي إخماده الفتنة التي نشبت سنة ٣٠٤٥

عند عودته ظافرًا من غزو بلاد النوبة حيث قام عبدة ست وأمام إدفو بعصيان فنكل بهم الملك وقتل ٦٥١ من كبارهم ثم هاجم فريق آخر منهم في جنوب طيبة ففروا إلى الشمال بعد اندحارهم فتعقبهم إلى دندرة وقهرهم من جديد ، ففروا إلى الطريق المؤدي إلى البحر الأحمر فاقتفى أثرهم بيد أنهم كانوا قد عادوا ثانية إلى النيل وركبوا سفنهم حيث التحقوا ببقية عبدة ست في الفيوم فغزاهم ونكل بهم وأخذ منهم ٣٨١ أسيرًا بينهم رئيسهم الأعظم وأمر بذبحهم جميعًا وبذلك انتهت الفتنة في ٣ ديسمبر ٣٠٤٥ ق. م." وقال في ص ١٣١ "أن عبدة ست قاموا بفتنة قرب بحيرة المنزلة فزحف عليهم الملك بيد أنهم كانوا قد فروا إلى الصحراء خلف مدينة أون (عين شمس) فأحاط بهم وأباد منهم الثلثين وفر الثلث الباقي لا يلوي على شيء حتى وصل إلى بلاد النوبة فلحق بهم وأحاط بهم في مكان اسمه شاشيريت فلم يستطيعوا المقاومة وأبادهم عن بكرة أبيهم هنالك".

تنص سطور حجر باليرمو على أن الملك سنوفرو قد غزا بلاد النوبة وعاد منها بسبعة آلاف أسير ومائتي ألف رأس من الماشية ويقول العلامة جورج ويبر في الجزء الأول من كتابه المسمى تاريخ العالم ص ٦٥ "لقد وسع سنوفرو أول ملوك العائلة الرابعة حدود مملكته إلى جوف السودان وجلب إلى مصر عشرات الألوف من الزنوج كأرقاء للملك" وجاء في كتاب تاريخ العالم لناشره موريتز هارتمان ج ١ ص ٥٢ النص الآتي: لقد أنشأ الملك سنوفرو القلاع بقرب البحيرات المرة ببرزخ السويس لصد غارات الآسيويين وشن الغارة على بلاد النوبة متوغلاً في فتوحاته وأوجدوا أسطولاً

مصريًا بسواحل فينيقية وأعادا استثمار معادن النحاس الموجودة بطور سينا حتى أنه أصبح يعتبر الرب الحامي لتلك الأرجاء".

وقد شرح إدوارد ماير في كتابه المسمى تاريخ القدم ص ٢١٠ و ٢١١ سبب هذه الغزوة المصرية لبلاد النوبة بقوله "لقد رأينا المصريين على عهد سنوفرو يؤدبون القبائل الزنجية التي استولت على جنوب بلاد النوبة ولذلك نرى اسم طيطون معبود بلاد النوبة يذكر كثيرًا في مخطوطات الأهرامات. ولقد تكررت فيما بعد غزوات مصر لبلاد النوبة ولهذا نجد تمثال أوناس وقد نصب في جزيرة فيلة تذكارًا لانتصاراته ببلاد النوبة ولقد امتدت حدود مصر على عهد العائلة السادسة حتى الشلال الثاني ولم يكتف ملوك مصر بتجنيد القبائل النوبية بل أرغموها على أن تقدم عددًا من الرجال للبوليس والجندرمة (من الزنوج المستسلمين) وكانت لهم بمصر سطوة عظيمة وكان يسمح لهم بدخول المدن والقرى والتحكم في أهلها إلا الممتازين أو من كان له حظوة تقيه شر سيطرتهم".

وجاء في ص ١٨٩ النص الآتي "لقد كان توطيد الأمن وحفظ النظام بالقطر المصري منوطًا بالجنود النوبية والسودانية بينما كانت الجيوش الحربية جنودها من فلاحي المديريات" وجاء في ص ١٥٦ من الجزء الأول من تاريخ الفراعنة لمؤلفه آرثر ويغال النص الآتي: "لقد شيد الملك سنوفرو في السنة العاشرة من حكمه أسطولاً نيليًا طول كل سفينة كبرى منه ١٧٠ قدمًا وبنى حوالي ستين سفينة خفيفة. وشن بهذه العمارة النيلية الغارة على بلاد الزنوج (على بعد ١٠٠ أو ٢٠٠ ميل في جنوب

الشلال الأول) والمسطورات تنص على أنه قد عاد بسبعة آلاف من الأسرى ومائتين ألف رأس من الماشية. يعني أنه أباد تقريبًا هذه المنطقة وفي نفس السنة بنا سورين في الشمال والجنوب (لعله أوجد خطين من القلاع للدفاع كما فعل ملوك العائلة الثانية عشرة فيما بعد) وأسماهم سوري بلاد سنوفرو وبعث أسطولاً تجاريًا في نفس السنة إلى لبنان فعادة أربعين سفينة منه محملة بخشب الأرز (السيدار) ولقد استثمر معادن النحاس الموجودة بشبه جزيرة طور سينا بمقياس واسع للغاية حتى أنها صارت مضرب الأمثال فيما بعد لدرجة أن المهندس الذي كان يود الافتخار بعظمة عمله يكتب أنه لم يوجد من يداينه منذ عهد سنوفرو" ولقد ذكر ما يقرب من ذلك في كتابه المسمى آثار بلاد النوبة ص ٥ فلا داعي لتعريبه. واكتفى بنقل العبارة الآتية من كتاب تاريخ السودان لمؤلفه بادج ص ٥١٥ ج ١ "لقد غزا سنوفرو أول ملوك العائلة الرابعة بلاد السودان وأحضر معه إلى مصر سبعة آلاف من الأسرى ومائتين ألف رأس من الماشية ولا نعرف ماذا فعل بأولئك الأسرى فلعله استعملهم في استثمار مناجم الفيروز الموجودة بشبه جزيرة طور سينا أو في تشييد قبره بالقرب من دهشور أو بناء أهرامه الموجود بميدوم. وبالرغم من عدم معرفتنا تفاصيل هذه الحرب بيد أن سببها على الأرجح يرجع إلى امتناع القبائل السودانية عن دفع الخراج المفروض عليها أدائه لمصر سنويًا (راجع ص ٧٧ من مجلة مصر سنة ١٨٨٥ مقالة الأستاذ ويدنمان) وقد ذكر بريستيد في كتابه تاريخ مصر ص ١١٦ المعلومات المتفرقة السالفة الذكر بشأن سنوفرو وأعماله وزاد على ذلك أنه صار يعبد في شبه جزيرة

طور سينا مع هاتور وسوبد وأن معدنًا كبيرًا للنحاس سمي باسمه. فإذا أردنا أن نقدم للقارئ خلاصة أعمال سنوفرو ببلاد السودان نذكر أنه ما ذهب إليها.

(١) إلا لإخضاع القبائل الزنجية التي توغلت ببلاد النوبة لأول مرة في التاريخ يعني أنه ذهب لإنقاذ النوبيين.

(٢) لتأمين دفع خراج السودان إلى مصر كما كان الحال من قبل.

(٣) لتأمين سبل التجارة بين مصر ومجاهل أفريقيا كما كان الحال قديمًا لأن القبائل الزنجية المغيرة كانت كما يقول بادج ص ١٦ في مقدمة كتابه المسمى "تاريخ السودان" (لم يكن للسودانيين منذ آلاف السنين من عمل إلا نهب قوافل التجارة أو شن الغارة على بعضهم البعض أو الاشتغال بالحروب الداخلية الدموية).

(٤) لإدخال أصول الحضارة والمدنية إلى تلك الأرجاء السحيقة ولكم أحسن كارك أوبيل حيث يقول ص ١٣٢ من كتابه المسمى "مصر بلاد العجائب" (لقد اضطر النوبيون أو الكوشيون (كما يسميهم قدماء المصريين) أن يخضعوا لجيرانهم الشماليين بيد أن ما يفتخر به أبطال المصريين لم يكن مجرد تدويخ الممالك وافتتاح الأقطار بل كان عبارة عن تعليم الجاهلين وتمدين المتوحشين.

(٥) إيجاد الرجال المطيعين الشجعان للقيام بوظيفة البوليس والجندرمة ويكفي المنصف أن يعرف أن فرعون مصر كان يسمح لأولئك

الزنوج بالتحكم في أفراد الرعية ليدرك أنهم لم يكونوا عبيدًا أذلاء أو رقيقًا يسام الذل والظلم كما يريد بادج أن يوهم من يطالع كتابه ومع هذا فها هو العلامة الكبير ماسبيرو يذكر في كتابه "فجر المدنية" ص ١٨٩ عندما شرح لنا كيفية محاكمة الميت أمام أوزيريس النص الآتي "لم أسمح لسيد بأن يسيء معاملة رقيقه" وفي ص ١٩١ و ١٩٢ "أن الله لا يقصر رضاه على الأغنياء والسعداء والأقوياء في هذه الدنيا بل أنه يسبغها على الفقير أيضًا وأنه يرغب أن يطعموا (يعني الفقراء) ويكسوا وأن يعافوا من كل مجهود فوق طاقتهم وأن لا يظلموا وأن توفر عليهم الدموع التي لا داعي لسكبها. إذا كانت هذه التعاليم المصرية المشبعة بروح العدل والإنسانية ليست مثل أوامر ديننا الذي يأمرنا بأن نحب جيراننا فهي على الأقل دليل ناصع على سهر الحاكم العادل على خير رعاياه ورأفته بهم وبرهان على أن عطفه يشمل الرقيق فهو لا يكتفي بأن لا يأمر الغير بسوء معاملته بل أنه يمنع السيد من أن يسيء معاملة رقيقه. ولا شك في أن هذه العقيدة السامية التي ورثناها عن العالم القديم يرجع منشأها بمصر إلى أقدم عصور التاريخ حتى أننا لنجدها مبعثرة في مخطوطات العائلة الأولى الفرعونية وتدل صورة كتابتها على أنها كانت معتبرة من الأمور القديمة وأنها كانت شائعة على ألسنة الخلق معمول بها بين الجميع". ويرى القارئ من ذلك أن الرقيق بمصر أسعد حالاً من رعايا أكثر دول الاستعمار اليوم وأنه كان مساويًا لإخوانه المصريين في المعاملة رغم أنف كل مكابر أو استعماري مخاتل.

يقول بريستيد في ص ١٢٧ العبارة الآتية "لقد ترك لنا الملك أوزكاف مؤسس العائلة الخامسة الملوكية اسمه منقوشًا على الصخور عند الشلال الأول بالرغم عما كان لديه من المشاغل العظيمة الناجمة من تأسيس ملك عائلته وترصين عرشه. وهذا أول اسم من سلسلة أسماء الفراعنة الذين قاموا بأعمال مهمة في الجنوب" بينما ويغال يقول في ص ٥ من كتابه المسمى "آثار النوبة" العبارة الآتية "يمكننا أن نعرف أحوال بلاد النوبة الحقيقية منذ عهد العائلة الرابعة فلقد غزاها الملك سنوفرو وأخضع بلاد النوبة أو كوش وأحضر منها إلى مصر سبعة آلاف أسير ومائتي ألف رأس من الماشية وهذا بالطبع قد أودى بعمار البلاد تقريبًا ولهذا لم نعد نسمع شيئًا عن بلاد النوبة حتى رأينا الملك ويزركاف مؤسس العائلة الخامسة وقد زار أسوان ، وفي الغالب أنه حضر لتنظيم إدارة البلاد ووضع دعائم نظام حكومتها" يعني أن هذا الملك العظيم كان اهتمامه بمصر تمامًا وكانت شوكته متينة مكنت خلفه الملك ساحورع من إرسال موظفيه حتى طوماس حيث نجد اسمه مسطورًا على صخورها ، كما يقول ويغال في كتابه المسمى "آثار النوبة" ويقول في ص ١٩٦ ج ١ من كتابه المسمى "تاريخ الفراعنة" أن الملك ساحورع ثاني ملوك العائلة الخامسة أرسل أسطولاً غزا سواحل سوريا وفلسطين ونرى صور الأسرى الفينيقيين بين بحارة أربعة سفن من الأسطول المصري ومخطوطات وادي المغارة تبرهن على أنه أرسل حملة إلى طور سينا فأدبت البدو وأخضعتهم لسلطانه بدليل نصها الآتي "الملك العظيم أدب الآسيويين في كل الممالك" ولقد وجدت اسم هذا الملك مسطورًا على

صخرة بقرب قرية طوماس في شمال النوبة وهذا دليل على أنه ساق جيشًا ضد بلاد النوبة صوب الشلال الثاني... واعتقد البعض أن هذا الملك أرسل حملة إلى بلاد بونت ولكن النصوص المسطورة على حجر باليرمو التي دفعتهم إلى قبول هذا الاعتقاد لا ترجع إلى عهد هذا الملك بل إلى الملك سيسيريس رابع ملوك العائلة الخامسة" وجاء في ص ٥٢ ج ١ من كتاب تاريخ العالم لمؤلفه كلاوبر وكون "أن الملك ساحورع وسع حدود مصر جنوبًا إلى ما بعد الشلال الثاني وكان يحضر من بلاد الصومال مقادير وفيرة من اللبان والعطور والأخشاب الغالية.

أما بتري فيقول في ص ٨٣ ج ١ "لقد حارب الملك ساحورع أهالي طور سينا ونقش لوحة في الصخر تذكارًا لتنكيله بمنلنتو وتوجد لوحة من أحد موظفيه عند سهيل ونقوش في صخور الكاب وطوماس بالنوبة. ولقد انتشرت عبادة ساحورع أثناء العائلة الخامسة واستمرت إلى عهد البطالسة" بينما إدواردماير يقول في ص ٢١١ "لقد كانت العلاقات التجارية البحرية بين مصر وبلاد بونت وسواحل البحر الأحمر متينة مستمرة بيد أنها كانت من اختصاص فرعون (يعني من حق الحكومة لا أفراد الشعب للمعرب) ولذلك نرى الوارد منها ومن أرض مفقاط يعني طور سينا في آخر سنة من حكم ساحورع ٨٠٠٠٠ شجرة من المر وغيره من الأخشاب الجيدة الرفيعة القيمة ومقادير عظيمة من الذهب ونجد الآلهة في الصور المرسومة بمعبده تقدم له أسرى الممالك التي دوخها بين ليبيين وآسيويين وعددًا كبيرًا من سكان بونت" أما تاريخ العالم لناشره موريتز هارتمان فقد وردت فيه العبارة الآتية في ص ٥٤ ج١

"إن الملك ساحورع أظهر سلطة مصر في الخارج من جديد فلقد خاض غمار الحرب في الغرب والجنوب وتكللت راياته بالنصر في جميع حروبه فلقد بعث حملة بحرية غزت سواحل فينيقيا ولبنان وحاصرت قلاعها وعادت بالغنائم الوفيرة والأسرى العديدة ووصلت جيوشه جنوبًا حتى الشلال الثاني وفي الغرب كسر شوكة القبائل الليبية الشديدة المراس والمحبة للحرب وكانت تأتيه الأخشاب النفيسة والصموغ العطرية والكندر والبخور من بلاد بونت وسواحل الصومال وبعده جاء Ona أونا فمنذ فتوحات مصر جنوبًا معقبًا مجرى النيل" أما بريستيد فيقول في ص ١٢٧ ما يأتي "أن الملك ساحورع أرسل حملة إلى طور سينا فعادت بغنائم وفيرة وأموال كثيرة وقام أسطوله بأطول سياحة بحرية عرفها التاريخ حتى هذا الحين بأن سافر من مصر إلى بونت يعني بلاد الصومال. نعم إن سنفرو كان قد بعث عمارته البحرية إلى سواحل سوريا في القرن الثلاثين قبل الميلاد وكان يسميها هي وبلاد العرب وجميع البلاد الواقعة في الشرق "بلاد الآلهة" وعادت عمارته حاملة الصموغ العطرية والبخور واللبان وغيرها من الأشياء الضرورية لحياة الشرقيين ويظهران العلائق التجارية البحرية التي كانت موجودة بين مصر وبلاد بونت منذ أوائل عهد العائلة الفرعونية الأولى بدليل أن الفراعنة كانت منذ هذا العهد تستعمل مقادير كبيرة من المر والصموغ بيد أنه من المحتمل أن هذه الأشياء كانت تنقل إلى مصر برًا بواسطة القبائل عن طريق النيل الأزرق فالعطبرة والصعيد. ولقد كان لدى ابن خوفو أحد ملوك العائلة الرابعة قزم من بلاد بونت (راجع ص ٦٧٠ من كتاب مصر لمؤلفه أيرمان) ولكن ساحورع هو

أول ملك لدينا آثار كتابية تدل على أنه قد كانت له علاقات تجارية بحرية مع بونت (راجع بند ٨ ص ١٦١ ج ١ من سجلات الأزمنة القديمة لمؤلفه بريستيد) وقد عادت عمارته البحرية إلى مصر ناقلة (٨٠٠٠٠) معيارًا من المر وستة آلاف وزنًا من Electrum (معدن خام مكون من الذهب والفضة معًا) و ٢٦٠٠ حملاً من الخشب الغالي القيمة يعني الأبنوس ونجد عند الشلال الأول أسماء موظفيه مسطورة على الصخور في رأس سلسلة من أسماء موظفي مصر الذين حكموا بعدهم في تلك الأرجاء".

ولا شك في أن هذا برهان تاريخي على أن ساحورع أرسل حملة للتوغل ببلاد النوبة". إن إصرار ويغال على نسبة هذه الحملة إلى الملك إيزيزي أو سيسيريس رابع ملوك العائلة الخامسة ناجم عن شدة غلوائه في تطبيق طريقة تاريخه على الأزمنة القديمة ولكن لا عبرة بذلك بعد أن أجمع كل المؤلفين على أن الملك ساحورع هو مرسل هذه الحملة كما أن ذلك لا ينفي أن الملك سيسيريس بعث حملة أخرى بدليل أن إدوارد ماير يصرح في ص ٢١١ من تاريخه بأن باورتيت رئيس وزراء الملك أزوزي أز إيزيزي عاد من رحلته بالسودان وبلاد بونت بعد أن أحضر خراج هذه الأرجاء وجاء معه بقز عمل لكي يقوم بالرقص الديني للملك وكذلك يقول بريستيد في ص ١٢٨ إلى ١٣٠ "لقد فتحت مناجم وادي الحمامات الواقع على بعد ثلاثة أيام من النيل شرقًا في النصف الأخير من العصر السابع والعشرين قبل الميلاد على عهد الملك إيزيزي.

وربما كانت الأحجار التي استعملت في صنع التوابيت الفرعونية الكثيرة قطعت كلها من هذه المناجم بيد أن الملك إيزيزي هو أول من ترك لنا بها كتابة تدل على استثماره لها. ونظرًا لاقتراب النيل من ساحل البحر الأحمر في هذه الأرجاء تقطع القوافل المسافرة من قفط إلى البحر المسافة في خمسة أيام وربما كان هذا هو الطريق الذي اخترقته حملة الملك ساحورع في سفرها إلى بونت وكذلك الحملة التي بعث بها الملك إيزيزي إلى بلاد بونت تحت رئاسة بورديد وزير ماليته وكبير وزرائه (راجع البند **٣٥١** و **٣٥٣** من الجزء الأول من سجلات الأزمنة القديمة) ويظهر أن خلفه الملك أونيس أو أوني كان كثير المشاغل في الجنوب بدليل أننا نجد اسمه مسطورًا عند الحدود الجنوبية حيث يلقب بملك الممالك (راجع بيتري الموسم الثاني عشر رقم **٣١٢**) ولم تكن لدينا حتى الساعة أي علامة تدل على ضعف سطوة الفراعنة وازدياد نفوذ الموظفين ولذلك كانت جميع انتصارات الملك وفتوحاته تكون تحت اسمه دون أن يجرأ موظف على ذكر اسمه بها ولكننا نرى ذلك على عهد الملك إيزيزي لأول مرة في تاريخ مصر رسم الملك وأخبار انتصاراته كالمعتاد ويزاد إلى آخر كل مخطوطة سطر ينص على أن الحملة كانت تحت قيادة ضابط معين (راجع بند **٢٦٤** و **٢٦٦** ج ١ من سجلات الأزمنة القديمة) ومن هذا الحين بدأ نفوذ الموظفين يقوى وذكرهم في المخطوطات يزداد باطراد". وقبل أن نتلكم عن بلاد بونت أود أن أذكر أن الملك راد كرع إيزيزي كما يسميه ويقال وزير كرع أسا كما يسميه بيتري (ثامن ملوك العائلة الخامسة الفرعونية قد ترك

مخطوطات في طور سينا ص ٢١١ ج ١ تاريخ الفراعنة لمؤلفه ويغال تدل على أنه دوخ جميع الآسيويين حتى لقب بمدوخ الممالك وقد ترك مخطوطة إزاء طوماس يستدل منها على أنه أرسل حملة أخضعت هذه الأرجاء ويقول ويغال في كتابه آثار النوبة أن أحد قواد أسطول الملك أزيزا قد ترك اسمه على صخور طوماس ومنه نعرف أنه كان يمسى ختوم حوتب.. أما بيتري فيقول في ص ٩١ ج ١ من كتابه المسمى تاريخ مصر "يظهر أن هذا الملك كان في الشرق أكثر نشاطًا وهمة من أسلافه ولقد ترك لنا ثلاثة مخطوطات مهمة في وادي المغارة بطور سينا ولقد بعث حملة إلى الجنوب ترك نبأها مسطورًا على صخور طوماس".

وقد ذكر بريستيد أن الملك أونيس أو أوني كان عظيم الاهتمام بالسودان والتوسع جنوبًا حتى لقب بملك الممالك وقد ذكر بيتري ص ٩٥ ج١ نبأ اللوحة التي تركها هذا الملك إزاء جزيرة فيلة على صخرة مستديرة في الغرانيت في طريق القرية الواقعة بالقرب من المعدية وكذلك ذكرها ويغال في ص ٢١٦ ج ١ من تاريخه. ويرى القارئ من كل ما تقدم أن ملوك العائلة الخامسة لم يكونوا أقل ممن سبقهم اهتمامًا بشئون السودان وأنهم أوجدوا الأساطيل بالبحر الأحمر لتأمين الحصول على خراج بلاد بونت واحتكار متاجرها ونظرًا لاعتبار المصريين سكان بلاد بونت من أقاربهم وتسميتها ببلاد الآلهة أود أن أذكر هنا خلاصة أقوال المؤرخين بشأنها فبريستيد يعتبرها سواحل الصومال وويغال يعتبرها (ص ٢١٦ ج ١) أنها بلاد واقعة بالقرب من الصومال كانت مشهورة بخشب المر وصموغها العطرية التي كانت تستعمل في البخور ولاستخراج

الزيوت العطرية أما ماسبيرو فيعتبرها البلاد الواقعة في جنوب خط يمتد من بربر حتى سواكن وتمتد حتى قواعد جبال الحبشة وغيره اعتبرها بلاد الأرتيريا بيد أن المستشرق الكبير إدوارد غلازر له بحث طريف في هذا الصدد نشره بالعدد الرابع من مجلة جمعية أبحاث الشرق الأدنى سنة ١٨٩٩ أود أن أعربه للقراء حتى يلموا بما حواه من المعلومات المفيدة وها هو نصه "لقد كتبت بتاريخ ٢٧ و ٢٩ مايوم سنة ١٨٩٩ في جريدة الجمين زبتونغ المنتشرة في ميونيخ مقالاً مطولاً أثبت به أن المتكلمين اليوم بلسان المهرا (مهرا وظفار وسقوطرة" أسلاف عربان الحبشة وهم الذين كان قدماء المصريين يسمونهم "بوبن" يعني سكان بونت. وأنهم هاجروا قبل آلاف السنين من سواحل الخليج الفارسي متجهين إلى الغرب فاستعمروا جنوب بلاد العرب وسواحل الصومال وشرق أفريقيا بما فيها بلاد ما شونا وبينت أن الفينيقيين كانوا شعبة من العنصر البوني الذي أسميه فينيقي الجنوب تمييزًا لهم عن فينيقي الشمال إخوانهم في العنصرية واللغة والدين والعادات.

ومن المعلوم أن فينيقي الشمال هاجروا في مبدأ الألف الثاني قبل الميلاد من سواحل خليج فارس واستولوا على جزء عظيم من سواحل البحر الأبيض المتوسط ولقد ذكر لبسيوس إن من سماهم قدماء المصريين بونت هم الذين لقبهم اليونانيون واللاتينيون فيما بعد "بوين" وأنهم هم نفس الفينيقيين بيد أنه عجز عن تعيين موطنهم. نعم إنني لست من علماء الآثار المصرية ولكنني قرأت كل ما كتب في هذا الصدد خصوصًا "قائمة الشعوب لدى قدماء المصريين" التي جعلها هيتريش

بروكش أساس موضوع قدمه لمؤتمر المستشرقين الذي انعقد ببرلين سنة ١٨٨١ وما كتبه جولينشيف بشأن الأساطير المصرية وكتاب أودلف أيرمان عن مصر والحياة المصرية القديمة وكتاب إدوارد ماير في تاريخ مصر قديمًا ومحاضرة يعقوب كرال التي ألقاها سنة ١٨٩٠ بأكاديمية العلوم بفينا بشأن التاريخ المصري القديم خصوصًا القسم الرابع الخاص بأرض بونت وكتاب ماكس موللر المطبوع سنة ١٨٩٣ المسمى "آسيا وأوربا نقلاً عن الآثار المصرية" ولقد رأيت المؤلفين مختلقين في تعيين مكان بلاد بونت ، فيصرح بروكش بأنها أقصى بلاد جنوبية عرفها قدماء المصريين بسواحل سكان الكهوف وقال أنها تمتد من سواحل الحبشة حتى سواحل Linus Ouplites التي عينها استرابو جيدًا وحاول كرال جعلها بين مصوع وسوا كن وغيره جعلها في شمال الصومال وآخرون قالوا أنها في السواحل الجنوبية الغربية من جزيرة العرب .

ويلوح لي أن رأي ماكس موللر أقرب الجميع للحقيقة بيد أني أخالف الجميع وأصرح بأنها كانت تشمل ساحلي خليج عدن. نعم أن المصريين لم يذكروا لنا جغرافية بلاد بونت بالتفصيل ولكنهم ذكروا أهم حاصلاتها وصوروا أهلها وملابسهم وأسلحتهم وإذا أمعنا النظر في هذه الرسوم يمكننا تعيين البلاد المقصودة. لقد عادت الحملة المصرية بأسطولها محملاً من العطور والبخور واللبان في قواديس ومعها نسانيس وفهود ونمور وخشب أبنوس وسن فيل وذهب وكحل وكلاب سلوقية وعبيد وريش نعام وتيوس وحشية وزرافة وبقر مستقيم الظهر وقد ذكر جولينشيف زيادة عن ذلك سوتر. سوتر وزيت حكن وخشب المر

وخشب تعشب وخشب شعاس وأذناب مامانير. ومن المعلوم أن أهم أشجار اللبان تسمى محر ببلاد الصومال ومغار أو مغيروت ببلاد المهرا وظفار ونفس اسم المهر مشتق منها معناه بلاد أشجار اللبان ويسمى اللبان الأبيض ببلاد الصومال محرعد والأسود محرعد وتجتبى أحسن أنواع الفصوص من شجر اسمه يقعر ويباع بسوقي عدن تحت اسم لبان ميطي. ويرى القارئ مما تقدم أن بلاد المهرا كانت جزءًا من بونت التي كانت تطلق على بلاد المهرا وظفار والصومال. أما أنتي أو نوتر سونتر فقد اعتبره البعض نوعًا من اللبان وظنه آخرون نوعًا من الصمغ والأصح أنه صمغ الكثيرة وقد كان يرد على مصر من بونت ومن جنوب سوريا حتى ذكر بلينيوس أنه كان يزرع بجنوب سوريا وآسيا الصغرى وقبرص وكريت وكانت جودة أصنافه حسب ترتيب المواضع المذكورة واعتقد أن ما أتى به المصريون من بونت لم يكن صمغ الكثيرة بل نوع من صمغ الصنوبر أشبه الأشياء بصمغ الكثيرة يعني Baelum وهو موجود اليوم بجميع سواحل جنوب بلاد العرب والصومال وقد ذكر كرال نقلاً عن سجلات معبد إدفو أن قدماء المصريين كانوا يعرقون من صمغ (أنتي) أربعة عشر نوعًا يستعمل منها بالمعابد إحدى عشر نوعًا فقط يسمونها (نوهات أنتي) وكان اسم الصنف الحادي عشر أم وقد اعتبره ماكس موللر أنه خشب المر. وإذا علم القارئ أن كلمة أنتي المذكورة شحرية يعني بوتيه أصلها عانته أو أعانته. ومعناها بلغة الشحر العيون يعني أعين أو خروق الشجر التي يجنى منها الصمغ واللبان. وشجر المحر لا ينبت قط في شمال بوغاز باب المندب بل موطنه في سواحل جنوب بلاد العرب وشبه جزيرة

الصومال والجزر القريبة وفي بلاد بونا بالهند. ومن ينظر سكان ظفارا والمهرا وسوقطرة يجدهم صورة طبق الأصل من الصور التي رسم بها المصريون القدماء سكان بلاد بونت فهم ينمون شواربهم ويطيلون شعورهم ثم يجمعونها فوق رؤوسهم ويربطونها بخيط أو سير من الجلد ويرخون شعور الفودين ويحملون بأيديهم عصا قصيرة نهايتها السفلى غليظة. راجع مبحث كارتر عن بدو قرى في عدد يناير سنة ١٨٤٥ من مجلة الجمعية الآسيوية الملوكية شعبة بومباي) ولقد شاهد ويلليستيد سنة ١٨٣٤ ضخامة سيقان نساء سقوطرة لدرجة عجيبة وهذا ينطبق تمامًا على صورة ساق أميرة بونت كما رسمها المصريون ولما احتل البورتغاليون شرق بلاد الصومال وجدوا بها قبيلة عربية تتكلم بلهجة يمنية عمانية .

ويجب علينا أن لا ننسى زيادة عما تقدم أن سكان ظفار والمهرا يسوحون سنويًا حتى اليوم للتجارة أو صيد السمك وينزلون في بومباي وشرق أفريقيا وسواحل الصومال الشمالية وجنوب بلاد العرب ويرجعون إلى بلادهم بعد انتهاء الموسم المعين لديهم ، وقد نقل ماكس موللر عن مخطوطات أبيدوس أو العرابة المدفونة اسم حبش وسنرى أنه اسم قبيلة كانت تسكن بجنوب بلاد العرب وذكر جنبتي ولقبهم بذوي الجدايل الشعرية أو حملة الشعور وقد سماهم بروكش أهل الجنوب والحقيقة أنه لا نزال حتى اليوم بشرق مربط ببلاد ظفار قبيلة اسمها بني جناب أو ظناب أو زناب كما يلقبها قدماء المؤرخين وتمتد ديرتها من شرق مربط حتى الحدود الشرقية لقبيلة القرى إزاء جزائر خوريا موريا في عرف الفرنجة وجزائر الزنوبيين في عرف القدماء وذكر موللر سكان المصاطب

أو الدرجات وظنها قطعة من بلاد الصومال مع أن الأراضي المدرجة لا تزال موجودة حتى اليوم بحقول اليمن وكانت قديمًا بجميع سواحل جنوب بلاد العرب وقد ذكر قدماء المصريين بين حاصلات بونت الخشب الجيد ولقد كانت سواحل جنوب بلاد العرب حتى القرن الخامس بعد الميلاد بناء على ما نقله استفانوس البيزانطي عن أوانيوس مصدرًا لهذه الأخشاب فلقد صرح بأن بلاد الآجاس وهي واقعة في شرق بلاد سبأ وحضرموت وإن أهم حاصلاتها المر وأصون واللبان وكارباتوم أو كارباسوم ونبات أحمر اللون تستخرج منه صبغة ولا شك إن هذا النبات الأحمر هو دم الأخوين أما الكاربباسوم فقد فسره J. H. Morottman بأنه خشب الفرفة وأن أصون هو الصبر وقد استعمله المصريون قديمًا بكثرة وكانوا يسمونه أوشو ولقد كانت ملوك أشوريا يأخذون خشب الأوشو كضريبة من السبأين مع الذهب وسن الفيل.

من كل ما تقدم نحكم أن كلمة بونت في نظر المصريين القدماء كانت تشمل جزءًا من جنوب بلاد العرب وسنرى فيما يلي أن بونت كانت تشمل مناطق أخرى خارج جزيرة العرب. لأننا إذا تأملنا في البضايع التي استوردتها مصر من بونت نرى بينها البقر المستقيم الظهر وهو نوع خاص بجزيرة سقوطرة وكذلك المامايتريس الذي اعتبره العلامة شواينفورت أنه قط الزبدة ويوجد بوفرة عظيمة في جزيرة سقوطرة ويسمى بها اليوم جربوك وجربوني وجمعه جرابيك بينما الأبانوس وسن الفيل والزرافة كلها من حاصلات أفريقية أما النسانيس والكلاب السلوقية والكحل وريش النعام والتيوس الوحشية والعبيد والذهب ، فأمرها مشترك

بين بلاد العرب بيد أن العبيد والذهب وريش النعام منشأها أفريقي أكثر منه عربي والكحل والكلاب منشأها عربي أكثر منه أفريقي وكذلك خشب الشعاس والمريربت من حاصلات المهرا وسقوطرة ، ويسمى إلى ليوم بهاش حاز أو شاحز ومعناه شجر خشب شجر اللبان لا الشجر نفسه ، وقد اعتبر هومل أن المريريت هو شجر مغيروت (الكندر) بينما اعتبره شواينفورت تصغير اسم شجر المر.

تأكد لنا أن بونت لم تكن في عرف قدماء المصريين بأربتريا أو سواكن بل كانت في شرق الصومال وجنوب بلاد العرب بناءًا على ما جاء في دليل البحر الأحمر في رابتا وفي المواني الجنوبية لمستعمرة أزانيا الحميرية يعني بدار السلام وكيلوا. وكان خشب الأبنوس الأفريقي يصدر أيضًا إلى زنجيا ومدغشقر ولم يذكر باسيلي مؤلف دليل البحر الأحمر أن خشب الأبنوس كان يصدر قط من الصومال أو سواحل بلاد العرب الجنوبية بل قال أنه كان من أهم المواد التجارية في باريجازا على ما رواه لنا أبوجولوس يعني في عمان وهذا يدل على أنه كان يجلب إليها من الهند فإذا قلنا بأن ما استورده المصريون من خشب الأبنوس لم يكن من الهند فلا بد من التسليم بأنهم ساحوا إلى سواحل أفريقيا الشرقية للحصول عليه وكذلك الذهب كان يستخرج قديمًا من ساسو بأفريقيا ومن هاشونالاند ومن بلاد العرب المجاورة لخليج فارس ويوجد الذهب على ما هو معروف في شرق أفريقيا بنسب مختلفة وقد كان ملوك أكسوم يستبدلون البضائع بالذهب المستخرج من ساسو .

وقد اكتشف أخيرًا ماوخ وبنت آثارًا قديمة تدل على استخراج الذهب بكثرة من أرض ماشونا بواسطة أقوام متمدينة اعتبرهم كثير من المؤانين فينيقيين. وقد ذكر مؤلف دليل البحر الأحمر أن أهالي موزا (كانت ثغر اليمن قديمًا واليوم تبعد عن مخا ببضعة أميال) استعمروا ازانيا بشرق أفريقيا وكانت هذه المستعمرة تمتد على الأقل من رأس حافون إلى رأس دلجادو بل وإلى جنوب رابتا بكثير وكانت تابعة لهم في القرن الأول بعد الميلاد وتعتبر جزءًا من المملكة السبأية ويغلب على ظني أن أرض ماشونا وخليج سوفلا كانتا تابعتين لمستعمرة أوزانيا وأن قدماء المصريين سافروا إلى هنالك لأجل الحصول على الذهب والأبنوس وسن الفيل وسنبحث فيما يلي عما إذا كان السبأيون هم أول من استعمر شرق أفريقيا من العرب أو أنهم ورثوا ملك هذه الأمصار عمن سبقهم من الحكومات العربية ونكتفي الآن بأن نذكر أن سواحل شرق أفريقيا حتى زنجبار وكانت مستعمرة لحكومة من جنوب بلاد العرب ولنبدأ بتدقيق تواريخ حكومات السواحل الجنوبية بجزيرة العرب. لقد وصف مؤلف دليل البحر الأحمر الساحل الشرقي الأفريقي من رأس حافون أو رأس جردحافون حتى رابتا بدقة عجيبة ومما يجب ملاحظته هو تسميته جزء من الساحل بحافون لأن حا مقطع مهري بحت وفون هي بونت ولقد قال أن أوزانيا كانت واقعة إزاء جزيرة مينيوتياس يعني جزيرة بمبا بمبا وهي زبجبار ونفهم من ذلك أن أوزانيا كانت مستعمرة ألمانيا بشرق أفريقيا ما بين طنجة وباجامويو وإذا أمعنا النظر في المخطوطات السبأية القطابانية نرى ذكر مملكة مستقلة كانت بجوار

حضرموت واسمها أوسان وكثيرًا ما ذكر هذا الاسم بتلك المخطوطات ويلوح لي أنها هي عين المملكة التي يسميها بلينيوس ويقول عنها أنها واقعة بالجبال على بعد سبعة أيام من الساحل وتصدر المر وكانت واقعة خارج دائرة مملكة الجبانيتيين ونرى بالمخطوطات القديمة ذكر مكان اسمه مسوار وربما كان موقعه في نفس المحل المسمى بهذا الاسم الموجود الآن في الساحة ببلاد آل عوض على بعد يوم من القصب ويومين من مسوره ، وهذه موجودة في الواقع في أقصى شمال مملكة القطابانين وقد ذكر بطليموس عاصمة ميفع في وادي ميفعات ، وربما كانت ميفع قد بنيت بعد أزمنة طويلة على أطلال مسوار. وعلى كل حال لا شك في أن جزءًا من ساحل شرق أفريقيا كان على عهد مؤلف دليل البحر الأحمر مستعمرة أوسينية وبالتالي قطابانية ، وقد كانت مملكة أوسن عندما استعمرت هذه الجهة حرة لم تتغلب عليها دولة القطابانيين بعد وقد استولى عليها في القرن السابع قبل الميلاد مكرب كاربيل واتر بن حنمري على السبأبي بعد أن حكمها القطابانيون أجيالاً طويلة يعني أن الأوسنين استولوا على هذه المستعمرة قبل ذلك بمصر.

وقد بدأ توسع سكان جنوب بلاد العرب وازديادهم في المملكة الأكسيومية خصوصًا عربان الحبشة في حوالي هذا الزمن وتبرهن جميع مخطوطات بلاد الحبشة خصوصًا ما وجد منها في بيجا على صحة هذا الرأي وبناءًا عليه نحكم بأن قبائل بونت استعمرت سواحل شرق أفريقيا على الأقل منذ بداية القرن الثامن قبل الميلاد وأنها استمرت إلى ما بعد الميلاد بزمن مستعمرة سبأية حميرية بلا انقطاع ولا نعرف إن كانت

مملكة ماشونا (ماشونالاند) كانت داخلة ضمن مستعمرة الأوسنيين أم لا ولكننا نعرف مما كتبه مؤلف دليل البحر الأحمر أن ثغر أوزانيا الجنوبي (رابتا) لم يكن تابعًا لسبأ في العصر الأول للميلاد بل أهملت نفس معادن بلاد ماشوناونسيت. ولقد قدم العلامة أوست ديلمان إلى أكاديمية العلوم الملوكية ببرلين في سنة ١٨٩٤ بحثًا أثبت به أن الآثار الموجودة في بلاد ماشونا بناء على تدقيقاته الفنية ليست سبأية بل فينيقية وكل ما نعرفه عن سياحات الفينيقيين بالبحر الأحمر ينحصر في نقطتين الأولى سفر سفنهم إلى مناجم الذهب في عفير على عهد سليمان والثانية في رحلة سفنهم حول أفريقيا بأمر فرعون مصر نيخو وليس في تفاصيل الرحلتين ما يدل على أنهم استعمروا تلك الجهات النائية وكذلك ليس لدينا براهين علمية تثبت أن الأدوميين وصياغ أيله أو السبأين استعمروا هذه البلاد ولكن وجد بنت بين آثار ماشونالاند البرج الخرطومي في زيمبابيا وهو صورة طبق الأصل من مخروط الربة في جبيل على عهد كرينوس وأشبه الأشياء بمعبد بافوس الشهير بقبرص على عهد ناسيتوس وأشبه بخرائب المعبد الكبير في جاولوس وهاجيار كيم في مالطة وبقايا معبد سادرينيا وكل هذه آثار فينيقية بحتة وكذلك الخواتم التي وجدت في ماشونالاند تشبه ما وجد من آثار الفينيقيين في فالماوث بإنجلترا وأحرف الكتابة التي شاهدها بنت تقارب الأحرف الفينيقية الآرامية وتشابه الأحرف السبأية القديمة ولا يسع المتأمل إلا أن يحكم بأن آثار بلاد ماشونا كلها فينيقية.

ولا نشك قط في أن حملة بونت المصرية أخذت كل ما لزمها من

أبنوس مدغشقر من ثغر زنجبار والذهب الآتي من جنوب أفريقيا وعليه نحكم بأن الساحل الأفريقي الشرقي من مستعمرة الرجا الصالح حتى آخر بلاد الصومال كان ملكًا لأهالي بونت قبل أن يستعمره الأوسنيون والقطابانيون والسبأيون والحميريون وكذلك كانت سواحل البحر الأحمر ما بين جزيرة سقوطرة ومصوع تابعة لسكان سواحل المهرا وظفار ومن المعلوم أن الذهب التي استوردته الحملة المصرية كانت تسميه ذهب عامو وقد قال ماكس موللر أن هذا الذهب كان من بونت وقد ذكرت مخطوطات الدير البحري الذهب الأبيض على أنه من عامو.

وقد صرح ماكس موللر أنه استحضر من سواحل سكان كهوف البحر الأحمر وقال كرال إنه من حاصلات بلاد العرب المركزية الموازية لسواكن وأنا أوافق كرال على أن العامو من السامين ولكنني أخالفه تمامًا في تعيينه مكان بلادهم إذ أننا نعرف أن عامو أو عمو هو في الحقيقة اسم أكبر معبودات القطابانيين (اشتق اسم عامو من كلمة عام يعني سنة لا من كلمة عم كما قد توهم البعض) وهو إله الشمس ونرى القطابانيين يسمون أنفسهم في المخطوطات الأثرية أولاد ام ، بينما نسمي السبأيون أنفسهم أولاد المقه وكلما عثرنا على مخطوطة بها ذكر لعبادة الرب عام لا نتردد في الحكم بأنها قطابانية أو أوسنية (كانت بلاد القطابانيين قديمًا البلاد الواقعة في الجنوب الشرقي من مملكة سبأ والشمال الغربي من حضرموت وفي شمال أوسن التي صارت فيما بعد ولاية قطابانية تمتد حتى باب المندب وتشمل بلاد الحميريين) وأنا لا أشك في أننا سنجد من المخطوطات ما يبرهن لنا على أن الأوسنيين كانوا أيضًا يعبدون عام

وبما أنهم كانوا مستعمرين بلاد ماشونا الشهيرة بذهبها فلا عجب بل من البديهي أن نرى قدماء المصريين يسمون ذهب شرق أفريقيا بذهب عامو ومن ذلك نرى علاقة عباد عامو بسكان بلاد بونت منذ ألفين سنة قبل الميلاد وأعتقد أن هذا الذهب لم يكن من ساسو بل كان من بلاد ماشونا وإن عبادة عام لم تكن وقتئذ قاصرة على القطابانيين بل كانت تشمل جميع سكان السواحل الجنوبية لشرقية من شبه جزيرة العرب ومستعمراتهم وأرى أن من يطلق عليهم اسم الحماميين في التوراة هم عباد الرب عامو يعني إنه أحرى بنا أن نسميهم العاميين لا الحاميين.

إننا إذا قارنا لغات سكان المهرا وظفار وسقوطرة وبلاد بونت نحكم بأنهم كلهم ساميون كانوا يعبدون الرب عامو قبل الأوسنيين ولذلك تعتبر تسمية الذهب الأبيض بذهب عامو معناها ذهب بونت ويمكننا أن نفهم سر خلط التوراة الساميين بالحاميين مثل ذكرها السبأيين والآشوريين والديدانيين والكنعانيين على أنهم جميعًا من دوحة واحدة مع أننا نعرف أنهم جميعًا ساميون لا حاميون ولعلها أرادت أن تنص على أنهم عاميون لا حاميون كما نفهمه اليوم من علم أنساب الأمم ومع هذا يجب على القارئ أن لا ينسى أن تقسيم الأمم المذكورة بالتوراة ليس عنصري ، كما يعتقد الكثيرون، بل هو سياسي بحت فلا عجب إذا تبدلت الشعوب المذكورة به على مرور الأزمنة وتوالي العصور. لم يكن الذهب يستخرج قديمًا من ساسو وبلاد ماشونا فقد بل ومن نفس جزيرة العرب أيضًا وقد ذكرت التوراة ومؤلف دليل البحر الأحمر ذهب عمان ولقد كانت عمان والجزء الشرقي التابع لسلطنة مسقط على عهد مؤلف

دليل البحر الأحمر تابعة لبلاد فارس وقد كان هذا حالها على عهد استرابوبل وأثناء حكم دارا الأكبر ونعرف من روايات باسيلي وبطليموس وبلينوس أن كل السواحل الجنوبية الواقعة في شرق حضرموت والجزء الأكبر من الخليج الفارسي كانت تسمى عمان حتى العصر الأخير قبل الميلاد ولا يزال هذا الاسم يطلق على السواحل الجنوبية من الخليج الفارسي ولا نعرف إن كانت هذه التسمية جغرافية أو سياسية أو عنصرية ولقد ذكر إيزيدور المعاصر للقيصر أغسطوس أميرًا على قسم عمان الواقع ببلاد العطور (الطيب) اسمه جويسوس العماني وهذا يدلنا على أن اسم عمان كان يطلق على الخلق لا على البلاد ولقد عرفنا لأول مرة أن الأحباش كانوا يعيشون حوالي هذا الزمن بتلك الأرجاء ولكنهم كانوا غير خاضعين لملك عمان بل كانوا يدينون بالطاعة لملك منهم وعليه نحكم بأن اسم عمان كان تعبيرًا جغرافيًا مثل الحجاز والشام وتهامة وكان في عهد الفرس يبتدئ من إزاء جزائر الزنوبيين (جوريا موريا) عند ثغر كين أو فرصة أخرى في شرقها. ولقد ذكر بروكش نص مخطوطة مصرية وجدها في معبد إدفو كتبت على عهد البطالسة جاء فيها ما يأتي (لقد جبت كل بلاد العطور وزرت بلاد الآلهة وعبدت الطريق إلى بونت وجبيت الجزية من العالمين وشاهدت كل عجايب أرض فكحر وجعلت أهل عامة يحملون إلينا صناديقهم وحبشي يقدمون جزيتهم....) ويرى القارئ مما تقدم أنه قد كانت توجد مملكة سامية أخرى بجنوب بلاد العرب اسمها عامة بقرب أرض الحبشة وربما كانت قسمًا من مملكة القطابانيين أو بلاد حضرموت التي سميت بأرض فكحر إذ لو قرانا حول بدل حر يصير

اسم المملكة بلاد فك حول وكما نعلم حول اسم معبود من أهم معبودات حضرموت وكانت تمتد بلاد العاميين بسواحل الخليج الفارسي إلى قرب حدود المملكة البابلية ومن ثم عرف العبرانيون الاسم وأكتفي الآن بذكر الأسماء الآتية المحتوية على ذكر (عام) بها: يروب عام ، عميال وإيلي عام وعاميهود ، عمزبد وعمحور وعمندب وعمشادي إلخ. إننا لا نعرف أرباب بلاد بونت مباشرة بل بواسطة المخطوطات التي تركها لنا المصريون الذين كانوا يعرفون تفاصيل كثيرة عن معبودات جنوب بلاد العرب، وذكر علماء الآثار بهذا الصدد:

(١) هاتور أو حاتحور ومعناها في عرف كرال سيدة بلاد بونت

(٢) عمون أو أمون معناه شيخ بونت وقد ذكر في أنشودة بولاق على أنه من بلاد بونت أفليس من الممكن أن نعتبره هو نفس عامو أكبر معبودات البوتين.

(٣) الربة أوريرت معناها سيدة بونت وقد قال بروكش باشا أنها هي نفس ليلى العربية ومعناه الرب والربة ولقد كانت زميلة المعبود رع بمصر اسمها رات في أرض تونر يعني بلاد الأرباب أو الآلهة وأنا أظن أن اللات هذه هي أكبر معبودة عربية وهي أقدم عهدًا بالتقديس مما يظن البعض بكثير.

(٤) وقد كان من بين معبودات مصر الرب بس ، وتنص الآثار على أنه من بلاد بونت وربما كان من تونتر وتسمى القطة إلى اليوم بس وتجمع على

بسات وكذلك ببلاد الحبشة ولو كان هو باسط معبود مدينة بوباسط لحكمنا بأنه مشتق من لفظة القط ولكان على شكله ولكن بس كان عند قدماء المصريين على شكل رجل ولذلك يغلب على الظن أن اسمه مشتق من لغة الأينوبين حيث نرى كلمات بس وبيسي ووبيسه يعني كل منها السيد أو الحاكم يعني نفس معنى بعل في اللغات السامية الأخرى مما يدل على أن أهل بونت كانوا ساميين.

(٥) هوروس أو حور معبود إدفو وكان يلقب برب بونت ووالد جميع أرباب تونتر يعني بلاد الآلهة.

(٦) الربة بوتو معنى اسمها عند قدماء المصريين ربة تونتر. (٧) والربة بانو كانت أيضًا من بونت و التماثيل التي وجدت ببلاد ماشونا على صورة الطير هي نفس حور.

لقد كان البونيون يستعمرون سواحل شرق أفريقيا من سواكن حتى الكاب كما استعمروا إخوانهم الفينيقيون سواحل البحر الأبيض المتوسط. وبما أن التاريخ لم يذكر لنا قط أن الفينيقيين هاجروا أو استعمروا سواحل شرق أفريقيا ومن البدهي أن سفن هيرام ما كانت لتقطع هذه المسافات البعيدة إلا إذا كان سكان السواحل على وفاق معه وتصبح المسألة بسيطة جدًا متى علمنا أن البونيين هم نفس الفينيقيين ولقد كان الجزء الأكبر من سواحل أفريقيا الشرقية على عهد الملك نيخو الثاني في أيدي البونيين أو سكان جنوب بلاد العرب يعني نفس العنصر الفينيقي فلا عجب إذا استعمل فرعون البحارة الفينيقيين في إتمام مرغوبه. وبما أن

أقدم حملة مصرية أرسلت إلى بونت كانت على عهد العائلة الحادية عشر. يعني (سنة ٢١٣٠ ق. م.) نحكم بأن استيلاء البونيين على شرق أفريقيا كان في الألف الثالثة من السنين قبل الميلاد أما العنصر المصري القديم فقد كان أقدم عهدًا ونشأة من تلك الأمم ولكن بلا شك فيه شيء من الدماء السامية بين النهرية. لقد سكن بسواحل خليج فارس من العنصر البوني شعباته الآرامية والنبطية والجرهانية ، ويظهر أن مملكة البونيين كانت لا تزال متحدة على عهد سليمان بيد أن كل شعبة منها في الغالب كونت قومًا له مميزاته وصفاته الخصوصية. ولقد رأينا أن الأوسنيون استولوا على سواحل أفريقيا المقابلة لزنجبار في القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد ثم تغلب القطابانيون عليهم كما غلبوا الحميريين والجباتيين ، ولما أدخلت سبأ القطابانيين ضمن رعاياها انتقلت سواحل شرقي أفريقيا إليها بينها سواحل البحر الأحمر حتى سواكن استولى عليها السبأيون في القرن السابع أو السادس قبل الميلاد أثناء حروبهم ضد أقباط الأثيوبيين وقد بقي البونيون وقتئذ في شمال الصومال وسوقوطرا وبلاد المهرا وظفار وكانت بلاد مشوناعندئذ في يد القطابانيين وبعد حين استولى دارا الأكبر على سواحل الخليج الفارسي وجميع بلاد عمان والمهرا وسوقطرا وقسمًا من الصومال فانحصرت مملكة البونيين كما هي اليوم في المهرا وظفارا وسوقطرا بسبب التضييق الأجنبي وأصبحت هذه البلاد تدعى ببلاد الأيتوبيين أو الأطيوبيين على عهد مؤرخي الرومان واليونان ، ولئن كان جميع سكان سواحل بلاد العرب على عهد قدماء المصريين بوبين بحت فقد صاروا على عهد البابليين والآشوريين

والعبرانيين واليونان والرومان ممالك مينية قطبانية أوسنية حميرية أو سبأية إلخ ومن ذلك نرى أن مدينة بلاد جنوب جزيرة العرب ترجع إلى الألف الثالثة من السنين قبل الميلاد.

كما يتضح ذلك من الآثار المصرية القديمة. ونفهم من أقوال هيرودوت أن قبيلة من سكان جنوب بلاد العرب كانت في القرن الخامس قبل الميلاد تسمى أتيوبيا (أطيوبيا) ونعلم من تاريخ مصر أن قمبيز تقدم من صعيد مصر ليهاجم الأثيوبيين القاطنين في أعالي النيل ونعلم من نقشة رستم ومن مخطوطات بهستون أن دارا الأكبر فتح شرق وجنوب شرق جزيرة العرب وجزيرة سوقطرا ونعلم أن الأثيوبيين كانوا يدفعون الجزية للفرس على عهد هيرودوت وأن بلاد الصومال وحكومة ناباتا التي صارت فيما بعد مملكة مرو كانت بيد الأثيوبيين في القرن السادس قبل الميلاد وكانت وقتئذ علاقتهم مع بقية أقوامهم في جزيرة العرب باقية كما كانت علاقة سكان قرطاجنة ومستعمرات الفينيقيين متينة مع صور وصيدا يؤيد ذلك ما ذكره إدوارد ماير في صحيفة نمرة **٢٨٩** من كتاب تاريخ مصر من أن الأثيوبيين كانوا يقدمون جزية لدار الأكبر كل سنتين مكونة من معيارين من الذهب الخام ومائتين خشبة كبيرة من الأبنوس وعشرين سن فيل وخمسة من العبيد وبعض هذه الأشياء وبالأخص العطور عربي المنشأ والباقي من أفريقيا.

وقد كان أنباط أفريقيا (الأطيوبيين) على عهد بطليموس يعتبرون أفريقيين بحت مع أنهم في الحقيقة شعبة من البونيين استوطنت أفريقيا

ولقد كان بهذا ظهور الأنباط كما يستدل على ذلك من المخطوطات الأثرية المسطورة بالخط المسماري (راجع ص ٤٠٩ جزء ثاني من كتابي الخاص بجغرافية وتاريخ جزيرة العرب) ويظهر أن قسمًا منهم ارتحل إلى الجنوب مع البونيين في الأزمنة الغابرة بينما قسم آخر اخترق الجزيرة واستوطن بسواحل بلاد الحجاز الشمالية.

ونرى من كل ما تقدم أن البونيين ومنهم الآراميين والعبرانيين لعبوا دورًا مهمًا من أقدم الأزمنة التاريخية في الرقي البشري بل أنهم كانوا أكبر المستعمرين وأعظم مؤسسي الحكومات بفطرتهم والكوشيون الذين تقدموا الأنباط والأثيوبيين ما كانوا إلا شعبة بونية بل ربما كانت أهم شعبة من هذا العنصر كما تفهم من ذلك التوراة بينما الكنعانيون كانوا أهم شعبة بين فينيقي الشمال. إن البونيين كانوا سكان جميع سواحل شرق وجنوب بلاد العرب وشرق أفريقيا من الكاب حتى أعالي النيل والصومال ونفس الملوك الذين استولوا على مصر كانوا بونيين كما تثبت ذلك نفس أسماؤهم مثل تاكيلوت وبيماي وبيانخي حتى أن جولشف في مقالة بشأن مآرب يقول أن اسم بلاد العطور كان باانخ وقد ذكر كل من إيهيميروس ودبودور الصقلي أن اسم جزيرة سوقطرا المقدسة في زمنهما كان بانختاي ونفس اسم مشاوشة وهو عاصمة المملكة بوني صريح وقد ذكر هيرودوت وأدوار ماير أن أطيوبي مرو كانوا يعبدون زيبوس يعني آمون المصريين وعام القطبانيين وديونيسوس يعني أوزوريس المصري وإثرة القطبانيين وعدا ذلك فقد كانت الوراثة عندهم لأولاد أخت الملك لا لنسله ويسمى ابن الشمس يعني أنهم كانوا متبعين قاعدة تعدد الأزواج

كما كان الحال باليمن وجميع بلاد جنوب بلاد العرب. لقد كانت أهم حاصلات الطيوب (جمع الطيب) في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد بناءًا على أقوال هيرودوت وتيوفراست ولين وبلينيوس إلخ كان مصدره بلاد الشحر (الاسم مشتق في الحقيقة من الشهر مع التصغير يعني أولى بنا أن نكتبه شهير) وهو اسم البلاد المجاورة لظفار بينما سكان هذه البلاد كان اسمهم وقتئذ أطبورين وقد ذكر بلينيوس أنه كان بتلك الأرجاء ثلاثة آلاف عائلة محتكرة بحارة الطيب لها ولأولادها وأحفادها وكانت الطيوب مقدسة في نظر السكان وقد ذكر تيوفراست العبارة الآتية: "مما يذكر عن أهالي هذه الجهات أن أراضيهم خاصة بالعطور وعدد السكان قليل. ولذلك يذهب الرجل بسفينته فيحملها بالطيب ويحضر كل ما جمعه إلى معبد الشمس وهو أكبر محل مقدس في هذه المملكة حيث يوجد عربان مسلحون- فيكوم كل شخص ما أتى به وينصب لوحة على كل نوع مبينًا بها مقداره وسعره ويتركه فيأتي التاجر فينتقي منه ما يروقه ويأخذه تاركًا الثمن بجوار اللوحة ويذهب إلى حال سبيله ويخرج الكهنة فيأخذون ثلث الثمن نصيبًا للمعبود وتبقى الأموال لا يسمها أحد بسوء حتى يحضر صاحبها ويأخذها". وهذا مثال الأمانة النادرة والمسالمة ومن الغريب أن أحفادهم اليوم سكان جزيرة سقوطرة مثلهم في الوداعة والمسالمة بينما اختلاط العرب والبدو بأهالي ظفار قد أثر على أخلاقهم مع مرور الزمن. وقد ذكر لنا بلينيوس أن أهم مركز لتجارة الطيب (حيث كان المعبود المذكور) كان اسمه سابوطا والمعبود الذي كان يقدم له عشر الثمن اسمه سابيس (يعني الشمس) وقد كانت سابوتا أو سابوطا

عاصمة حضرموت حتى في العصر الأول بعد الميلاد ثم عندما استولت سبأ على مناطق الطيوب مكثت بها حتى نهاية القرن الثالث بعد الميلاد وعندما استولت سبأ على مملكة القطابانيين صار ملوكها يلقبون أنفسهم بملوك سبأ وذي ريدان وفي أواخر القرن الثالث صاروا يلقبون أنفسهم بملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمتات (بلاد الحميريين والجبانيين وعاصمتها ميفعات) ولم يكن إلحاق حضرموت بملكهم قبل سنة ٢٠ ميلادية) ولقد انتقلت شرق أفريقيا (أزاينا وشمال الصومال إلى الحميريين بعد سقوط دولة القطابانيين ولكنها صارت ملكًا للسبيأين على عهد مؤلف دليل البحر الأحمر وانتقل ملك بقية الساحل الصومالي الشمالي من يد الحضارمة إلى عرب الأحباش (أصل ديرتهم كانت يمتات وكانت تمتد من باب المندب حتى حدود حضرموت) وكان أهم ثغورها وقتئذ أوسيليس يعني باب وكانت المنتدب فرضة حضرموت اسمها كيل ، وقد ظن البعض أن المقصود بفرضة جزيرة العرب هي عدن ولكن فلتهم أن عدن لم تكن ثغرًا على عهد مؤلف دليل البحر الأحمر ولا عهد بطليموس وليس هناك مخطوطات أثرية تؤيد زعمهم بل التاريخ يثبت أن عدن صارت ثغرًا لأول مرة في القرن الرابع بعد الميلاد. إن بلاد الطيب التي كانت تابعة للقطابانيين قبل الميلاد انتقلت عقب سقوطهم إلى الأحباش وبقيت بأيديهم حتى ولادة المسيح وقد نصت مخطوطة أثرية من منتصف القرن الأول بعد الميلاد عن معاهدة عقدت بين ملك الحبشة المسمى حدروت وبني علهان ملك سبأ وبين من يدعى أب غيلان ملك حضرموت ضد الحميريين والجبانيين وبعض قبائل كانت قاطنة

بقرب حضرموت ومن المعلوم أن الأحباش الذين تحكموا ببلاد الطيوب نيف ومائتين سنة وكان ملكهم يلقب بملك الملوك لوجود أفراد كثيرة تحت حاكميته لم يكونوا سوى شعبة عريقة من البونيين ، وقد ورد ذكرها في أسماء الشعوب التي رأتها حملة بونت المصرية وإذا كنا لم نسمع شيئًا عن تاريخها قبل زمن تفوق سلطانها وسبب ذلك أن المؤرخين كانوا يوجهون كل عنايتهم إلى الحاكم لا الشعب ولقد بقى من الأحباش قسم ببلاد الطيوب وهاجر القسم الآخر إلى أفريقيا حوال ميلاد المسيح فأسسوا حكومة أكسوم التي لا تزال تعرف حتى اليوم باسم الحبشة ولقد كان سبب هجرتهم إلى أفريقية الاضطرابات السياسية من جهة وكساد حركة تجارة الطيوب من جهة أخرى ويظهر لي أن آخر ملك حبشي حكم بلاد الطيوب كان اسمه جويسوس ويلقبه إيزيدوروس يملك عمان وقد توفى عهد القيصر أوغسطوس يعني ما بين سنة ٣١ قبل الميلاد وسنة ميلادية وانتقلت حاكمية بلاد الطيوب بموته إلى حضرموت وكتب مؤلف دليل البحر الأحمر ما بين سنة ٥٦ و ٦٧ ميلادية أن ملك حضرموت والبلاد الواقعة في شرقها يعني بلاد حمير وجزر الزنوبيين كان اسمه وكان يحكم جزيرة سقومطرة أيضًا ولقد وجدت مخطوطة أثرية مسطرة سنة ٢٦ ميلادية ذكر بها اسم ملك حضرموت وقد كتب هكذا اللزوياليط. لقد كان ملك سبأ يلقب نفسه سنة ٣٠٠ ميلادية بملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنان وبعد ذلك صار ملوك الحبشة يلقبون أنفسهم بملوك أكسوم وحومر وربدان وأتوبيا وسبأ وسالجتي (وأماكن أخرى في أفريقيا) وهنا نلاحظ أن سبأ ذكرت مرتين في اللقبين وكذلك

ربدان بينما يمنان ذكرت في اللقب الأول وسالحين في اللقب الثاني وحضرموت في الأول أيتوبيا في الثاني. أما أكسوم التي كانت الملكة الأساسية للأحباش بأفريقيا وسالحين هي مملكة سبأ القديمة ولقد كنت قد استنتجت من أقوال مؤرخي اليونان وقبل أن يكتشف بنت مخطوطات أيزانا أن أيتوبية المذكورة هي حبشات العربية لا مملكة الأحباش بأفريقيا وحبشات العربية هي حضرموت أو جزء منها وبناء عليه صار اسم حضرموت أخيرًا يشمل حضرموت وحبشات بينا اسم حبشات على عهد الأحباش كان يشمل حضرموت القديمة وحبشات العربية أما مملكة أكسوم قد كان تأسيسها ما بين سنة ١٠ و ٢٠ سنة قبل الميلاد. قلنا أن المصريين كانوا يسمون سكان جزيرة العرب بوين ويسمون مملكهم بونت يعني فينيقيين ونراهم يسمونها حتى آخر ملوك البطالسة يسمون جميع جنوب العرب باسمها العنصري القديم ، بصرف النظر عن تقسيمات حكوماتها الجديدة ، حتى أن بطليموس الحادي عشر الملقب بإسكندر الأول فر إلى بلاد بوت عندما استرجع أخوه بطليموس العاشر الملقب بسور الثاني عرش مصر (سنة ٨٠٨١ قبل الميلاد) وربما كانت بلاد بوت التي فر إليها بطليموس الحادي عشر هي مملكة القطابانيين أو مملكة الجبانيين التي كانت لها السيادة على السواحل الجنوبية الغربية من جزيرة العرب وعلى جزء من شمال الصومال وليس لدينا بكل أسف مخطوطات أثرة تبين لنا حدود مملكة حبشات العربية وعاصمتها بالضبط وكل ما نعلمه عنها أنها كانت بالساحل قرب حضرموت (ربما كان اسم سالجتي اسم أقدس مكان ببلاد سبأ وأطلقه الأحباش فيما بعد على كل

بلاد سبأ) ولقد اعتبر بعض المؤلفين الزرير عاصمة مملكة الحبشات ناسيين أنها واقعة في بلاد القطابانيين وأعتقد بصورة قاطعة أن المعاركات هي عاصمة الحبشات وعليه نرى أن أهم علاقات الحبشة العربية كانت مع القطابانيين (يتبعهم الجبانيين والحميديين) ثم مع الحضارمة وليس لدينا أنباء قديمة ترينا علاقاتها مع السبأيين والملينيين. إن من يتأمل في أحوال سكان جنوب بلاد العرب ، ويشاهد أن سكان بلاد الطيب (ظفار والمهرا) وسقوطرة لا يزالون محتفظين بأخلاق البونيين ولسانهم رغم قوة فيضان سيل العربية الذي اكتسح غيرهم في تياره يحكم بأن هذا اللسان كان لغة البونيين الخالي من الشوائب وأنه ذو أهمية عظمى في فهم جميع مخطوطات آثار جنوب بلاد العرب وأن له دخل كبير في فهم مخطوطات أيتوبيا وأعالي النيل وجميع مستعمرات الفينيقيين بسواحل البحر الأبيض المتوسط وآثار الأحباش بأفريقيا وبلاد العرب. يهمنا طبعًا أن نعرف مهد ظهور الفينيقيين وعلاقاتهم مع بابل وغيرها وكل ما لدينا من المعلومات في هذا الصدد أن مهد ظهورهم كان بسواحل الخليج الفارسي وفي جزائر البحرين ولا نعرف أن منطقتهم كانت تمتد حتى حدود بابل أم لا ونعلم أنهم استعمروا في مبدأ ظهورهم عمان وبلاد المهرا وجنوب الجزيرة ثم هاجر القسم الشمالي منهم إلى الشمال الغربي من جزيرة العرب وإلى سواحل سوريا وبلاد العراق وكانت لغتهم بعيدة جدًا عن اللغة المصرية كما أن علاقاتهم بمصر كانت أقل بكثير منها مع بابل رغم أننا نجد بين معبودات مصر من لقبوه بحاكم بوت وسيد بوت إلخ وأكتفي بأن أقول أن بلينيوش ذكر جزيرة أوال (البحرين وسكانها)

ويسميها أيضًا أواليون ويذكر أن قومًا يسميهم أواليون كانوا يقطنونه بجوار باب المندب وذكر ماكن وهو اسم قبيلة تعيش رأس بعسندم وكان اسم قبيلة عاشت بسوريا وفلسطين خصوصًا عند قاعدة Hermon وذكر Tilos وAradus بسواحل البحر الأبيض المتوسط والخليج الفارسي وذكر جزيرة كرك بالخليج الفارسي ومدينة الكرك بشرق الأردن ولم تكن هجرة البونيين قاصرة على جنوب جزيرة العرب والصومال وشرق أفريقيا والحبشة وسوريا وسواحل البحر الأبيض المتوسط فقط بل شملت سواحل فارس الجنوبية والجزائر الواقعة في جنوب آسيا وأعتقد أن الفلسطينيين الذين يعتبرهم البعض من كريت أو قبرص وسواحل آسيا الصغرى كانوا من أول القبائل البونية هجرة إلى سواحل الأناضول الجنوبية للتجارة بالكهرباء (الكهرمان) وغيره من المتاجر قبل ورود الفينيقيين والآخرين بقليل رغم دعوى وجود ونيكلر من أنهم غير ساميين وأنهم من عنصر سكان البحر الأبيض المتوسط القدماء ، واكتفي بأن أذكره بأن قبائل البونيين كانوا قديمًا التمدن إلى كل الممالك وأن اليونان والرومان وغيرهم نفذوا من معارفهم ولماذا نريد حصر مستعمراتهم ببعض نقط شمال أفريقيا ومالطة وقبرص وسواحل سوريا أن كل ما يقال أن اختلاط البونيين مع القبائل الأخرى جعلهم يندمجون معها بمرور الزمان ويشابهونهم في الملبس والعادات ولكن ليس هنالك شك في أن واضعي بذور المدنية في جوف أوروبا وجزرها هم البونيون.

وليس معنى كلمة فينيقيا الأحمر كما توهم البعض بل معناها النخلة ويعتقد ليسيوس أن مهد وجودها كان في بلاد البونيين ومن ثم

انتقل إلى بابل وبقية بلاد العنصر السامي وبما أننا نعرف أن منشأ الفينيقيين وموطنهم الأصلي كان بسواحل الخليج الفارسي يعني في منتصف منطقتي زرع النخيل. ويقول ليسيوس أن الكوشيين لم يكونوا ساميين وأنهم سكنوا بابل ومدنوها وأنهم لقحوا مدينة مصر بشيء من معارفهم ولكن الكوشيين كانوا في الحقيقة ساميين ولا شك في أنهم نفس البونيين وقد نقلوا مدينتهم الكوشية البابلية إلى وادي النيل.

خاتمة

مما تقدم يثبت بالدليل القاطع والبرهان الناصع أن وادي النيل كان من أقدم عصور التاريخ بلادًا واحدة جنسًا ولغة ودينًا وعوائد وأن كل ما هناك من الفارق هو فارق اللون وهذا ينشأ عن اختلاف الإقليم فمن سكن أعالي النيل وتعرض لحرارة شمس خط الاستواء المحرقة لفحته أشعتها فاسودت بشرته مع توالي الزمن والسلالة أما من قطن الأقاليم الشمالية من الوادي فيخالف الأول ببياض بشرته ثم أن بين ذلك درجات تزداد في السمرة كلما قربت الديار من خط الاستواء.

وهذا شيء طبيعي يحدث في كثير من الممالك الطويلة الشقة من الشال إلى الجنوب كالهند وبلاد العرب وكثير غيرها وليس معنى حدوث ذلك اختلاف الجنس كما يزعم ذلك دعاة الاستعمار من الإنكليز وإلا فليقيموا لنا الدليل فيضعوا خطًّا على الخريطة يفصل بين الأبيض والأسود من سكان وادي النيل ولن يفعلوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

إن أقوال علمائهم كالأستاذ إليوت اسمث وهو أكبر ثقة في علم فحص العظام بالبلاد الإنكليزية بل ومن أقدم أساتذة العالم في هذا الباب وتقريره بعدم وجود فارق بين الهياكل المصرية والسودانية من حيث الجنس وأنها جميعًا أفريقية لأكبر مفند لما يدعون مكذب لما يفناتون.

لقد أجمع علماء التاريخ وجنسيات الشعوب كما قدمنا في هذا

الكتاب على وحدة وادي النيل وأهله في الجنس والدين واللغة والثقافة والصناعة ، حتى في طريقة البناء الدفن وكثير من المصطلحات والعادات وما تجشمت الكثير من النصب والسهر في جمع شتات هذا الكتاب وترجمة محتوياته وضم شتاته إلا لأظهر للملأ قيمة مفتريات المستعمرين من الصحة ولأدفع الباطل بالحق فتتداعى أركانه وينهار ما شيدوه من بنيانه والله لا يفلح كيد الماكرين."قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا"

الفهرس